الكتاب العربي السعودي ٢٩

بائع التبغ

مجموعة قصصية

ترجمة

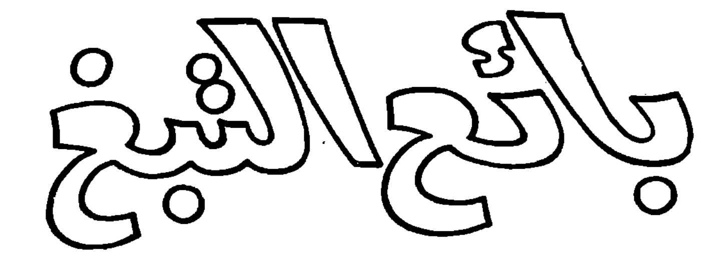
حمزة بوقري

الطبعة الأولى
١٤٠١هـ ١٩٨١م





الكتاب العربي السعودي ٢٩



بائع التبغ

مجموعة قصصية

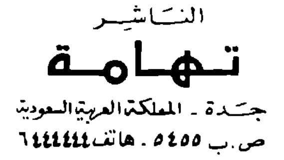
ترجمة

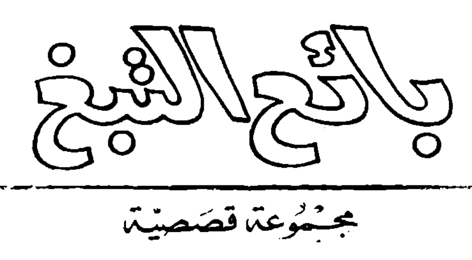
حمزة بوقري

الطبعة الأولى

١٤٠١هـ - ١٩٨١م

بسم الله الرحمن الرحيم


الناشر
تهامة
جدة - المملكة العربية السعودية
ص.ب ٥٤٥٥ . هاتف ٦٤٤٤٤٤٤


بائع التبغ
مجموعة قصصية

مقدّمة

. . . لعلها مناسبة اهتبلها لأرسل إلى روح الصديق الراحل الأستاذ عبد الله عريف . . تحية عرفان . . بمناسبة صدور هذه المجموعة من القصص ضمن ما تصدره تهامة من مطبوعات . . فلقد كان إصراره المتواصل والحاحه على أن أقدم له ترجمة لبعض الأقاصيص التي قرأتها . . سبباً في ظهورها في صحيفة البلاد السعودية قبل خمسة وعشرين عاماً . .

ولقد كانت تلك مهمة شاقة بالنسبة لي . . فلطالما قرأت مجموعات كبيرة من الأقاصيص وأحياناً عدة مجموعات لاختار من بينها قصة واحدة فقط مما يلائم الظروف والحال آنذاك فبالرغم من الأسماء العالمية الضخمة التي تحملها تلك الأقاصيص . . تشيكوف – موليير – موباسان – تولستوي – إلا أن هناك اعتبارات متعددة ينبغي أن تؤخذ في الحسبان حتى لا يقال . . وحتى لايظن . . وقد كنت يومها موظفاً حديث عهد بمديرية الإذاعة بمكة المكرمة وللذين لم يعاصروا تلك الفترة . . والذين يودون أن يعرفوا نوعاً من تلك المحاذير التي كانت تحيط بالإذاعة والصحافة . . يكفي أن أقول إننا كنا نذيع مقطوعة مشهورة آنذاك لمحمد عبد الوهاب اسمها « يوم سعيد » تحت عنوان موسيقى الجيش . .

بالرغم من كل ذلك . . استطعت أن أجد مجموعة يمكن أن تلائم الذوق العام . . وفي الوقت نفسه لا تهبط به . . ولو عدت اليوم إلى حرفة الأدب لما ترددت في ترجمة بعضها على اعتباره يمثل حتى الآن قمة

ما وصلت إليه الأقصوصة في العالم . . فحتّى اليوم لا تزال أقصوصة مثل العقد لموباسان أو الضيف لتشيكوف تمثلان . . في نظر من يقر أون الآداب العالمية مستوى رفيعاً للأقصوصة . . ولا استطيع أن أجزم الآن أن ترجمتي لتلك الأقاصيص تمثل أفضل ما يمكن أن تكون عليه الترجمة من فهم للنص الأصلي على النحو الذي أراده كاتبه . . وتمكن من اللغة المنقول إليها . . على نحو يحفظ جمالها . . وليس باستطاعتي حتّى لو أردت أن أراجع النصوص الأصلية مع الترجمة . . للمقارنة بينهما على ضوء حصيلة ربع القرن الذي يفصل بين تلك الأيام وهذه . . أولا لأن مجموعات تلك الأقاصيص ليست موجودة تحت يدي الآن . . وثانياً : لأن الحصول على الوقت اللازم لذلك يمثل مشكلة كبرى . . بالنسبة إلى . . ولهذا فإن مراجعتي لهذه المجموعة تنصب على تصحيح الأغلاط المطبعية التي وجدت بها . . ولا أستبعد أن أصلح تلك الأخطاء لأجد أن أخطاء أخرى قد ولدت . . نتيجة طباعتها في كتاب . . وكل ما أرجو أن تكون في حدود المقبول وما يمكن اكتشافه خلال القراءة . . وشكراً لمن يجد من وقته ما ينفقه في قراءة هذه الصفحات . .

حمزة بوقري

الدرس الثمين

لأنطون تشيكوف



الدرس الثمين
لأنطون تشيكوف

كانت أول فكرة تجول في ذهن (فروتوف) بعد أن نال الشهادة الدراسية وبعد أن بدأ يقوم ببعض الأعمال أنه لا يليق بإنسان مثقف أن يكون جاهلا باللغات الأجنبية فكان يقول لنفسه وهو يلفظ أنفاسه بصعوبة ، بالرغم من أنه لم يتجاوز السادسة والعشرين من عمره — انه لأمر فظيع أن أعيش من غير لغات كما يعيش الطائر من غير جناحين وانه لمحتمل جداً أن أفقد عملي بمرور الزمن . . وأخيراً قرر أن يتغلب على كسله وأن يتعلم اللغة الفرنسية والألمانية وعلى هذا بدأ يبحث عن مدرس —

وفي يوم من أيام الشتاء وفي وقت الظهيرة كان فروتوف جالساً على مكتبه يباشر عمله حين دخل عليه خادمه يخبره بأن سيدة تسأل عنه . . وبعد ثوان قليلة كانت سيدة صغيرة السن تخطر في ثوب من آخر أثواب الموضة وقدمت نفسها له كمدرسة للغة الفرنسية اسمها الايس أوسبسوفيا اتكويت . . أرسلها إليه أحد أصدقائه . . فأجابها فروتوف وهو يلفظ أنفاسه بصعوبته المعهودة وقد وضع يده على ياقة قميصه الليلي الذي اعتاد أن يلبسه في أوقات العمل بدلا من القميص الكتان الخشن الذي يخنق أنفاسه وقال لها إنني سعيد برؤيتك يا آنستي فلتتفضلي بالجلوس ثم هز رأسه وهو يقول نعم إنه ليونز سرجنس الذي أرسلك إلى لقد سألته ذلك . . نعم إنني سعيد . . وقد كان صاحبنا يحدثها وهو مأخوذ بها فقد كانت مثالا للأناقة الفرنسية وكان وهو ينظر إلى وجهها النحيل وشعرها الجعد القصير وخصرها النحيل نحولا ظاهراً يظن أنها ابنة ثمانية عشر عاماً ولكنه لا يلبث وهو ينظر إلى جبهتها وكتفيها الممتلئين وعينيها اللتين

تبعثان هذا الشعاع الصارم . أن يقدر أنها في الثالثة والعشرين من عمرها وربما في الخامسة والعشرين ولكنه عاد وأقنع نفسه بأنها لا تتجاوز الثامنة عشرة . . وكان وجهها يبدو باهتاً يشبه وجه رجال الأعمال وكأنها لم تأت إلا لتتحدث عن النقود . . فلم تبتسم إلا مرة واحدة ولم يبد على وجهها أنها تتأثر أو تحس ولكن مرة واحدة فقط طفت على وجهها سحابة من الحيرة عندما علمت أنها لم تدع لتدريس أطفال وإنما لتدرس إنساناً ضخم الجثة قوي العضل . . ثم التفت إليها فروتوف وقال لها . . وعلى هذا سنأخذ كل مساء درساً من السابعة إلى الثامنة حسب الشروط التي اشترطتها .. (روبل) عن كل درس . . ثم أخذ يسألها عما إذا كانت تشرب شاياً أو قهوة . . وعن الجو . . ثم ابتسم لها ابتسامة هادئة وهو يربت يده على غطاء المنضدة وأخذ يسألها في صوت ودي من هي . . وأين تلقت دروسها . . وعلى أي شيء تعيش فأجابته ببرودتها السابقة ووجهها مكتسي نظرات رجل الأعمال . . إنها أتمت دراستها في مدرسة خاصة وحصلت على شهادة التدريس الخاص وأن والدها توفي بالحمى القرمزية ، وأن والدتها لا تزال حية وتعيش من عمل الزهور الصناعية وأنها هي تدرس في مدرسة خاصة حتى الظهر ، ومن بعد الظهر حتى المساء تعطي دروساً خاصة لبعض العائلات الراقية . . ثم تركته وتركت خلفها رائحة أخاذة انبعثت من ثيابها الجميلة . . وظل فروتوف بعدها مدة طويلة شارد الذهن لا يستطيع أن يعود إلى عمله وبقي على مكتبه يربت بكفه على غطائه الأخضر وهو يفكر . . ما أجمل أن تـــرى فتاة تعمل لتكسب قوتها . . ثم يعود لنفســـه ، ولكن ما أسوأ أن ترى الفقر يضطر فتاة جميلة مثل «الايس» إلى العمل والصراع من أجل الحياة .. ولأنه لم ير فتاة فرنسية تتمتع بأخلاق عالية من قبل . أخذ يفكر في أن هذه الفتاة الرشيقة ذات الخصر الناحل من المحتمل أنها ستستجيب لأي نداء ، بمثل الروح التي تعطي بها دروس اللغة الفرنسية .

وفي مساء اليوم الثاني وعندما كانت الساعة تشير إلى السابعة إلا خمس دقائق كانت الايس قد بدت متوردة . . وفتحت كتاباً في قواعد اللغة الفرنسية أحضرته معها ودون مقدمة للحديث ابتدأت تقول . . اللغة الفرنسية تحتوي على ست وعشرين حرفاً وأولها هو A وثانيها B فقاطعها فروتوف وهو يضحك . . اعذريني يا آنستي إذ قلت لك ان من الواجب عليك أن تغيري طريقتك هذه بعض الشيء معي . . فأنا كما تعلمين أعرف الروسية واليونانية واللاتينية أيضاً ، ولقد درست في علم فقه اللغة المقارن وعلى هذا فيجب أن نترك كتاب القواعد هذا ونبدأ في قراءة كتب أخرى . . وبدأ يشرح لها الطريقة الّتي يتعلم بها الرجال المسنون اللغات . . فقال : إن أحد أصدقائي عندما أراد أن يتعلم اللغات الحديثة أحضر الأناجيل مكتوبة باللغة الفرنسية والألمانية واللاتينية وقرأها جنباً إلى جنب معنياً بها محللا كل كلمة فيها . . فهل تصدقين أنه في أقل من سنة كان قد أتقن ما أراده ؟ فدعينا نجرب هذه الطريقة ونحضر بعض المؤلفات ونقرأها . . فنظرت إليه الفتاة في حيرة فقد كان من الواضح بالنسبة لها أن الاقتراح تافه وسخيف ولو كان هذا الاقتراح الغريب مقدماً إليها من طفل لغضبت وانتهرته ولكن ماذا تصنع ما دام صاحب الاقتراح رجلا ضخم الجثة قوي الساعد ؟ فاكتفت بأن هزت كتفيها وهي تقول له : كما يسرك وفتش فروتوف في خزانة كتبه وأخرج كتاباً فرنسياً وقال هل نبدأ بهذا . . فأجابته كما تريد وبدأ يقرأ عنوان الكتاب Memoirex فترجمتها له (بذكريات) وبابتسامته اللطيفة وتنفسه الثقيل أنفق أكثر من ربع ساعة في كلمة Memoirex

وأكثر من هذه المدة في كلمة de فتضايقت الفتاة وأخذت تجيب على أسئلته بفتور . . وكان واضحاً أنها لم تفهم تلميذها جيداً ، ولم تحاول أن تفهمه وأخذ هو يسألها ، عدداً من الأسئلة وينظر في نفس الوقت إلى شعرها الجميل وهو يفكر . . أن شعرها ليس متجعداً بالطبيعة بل هي التي جعدته . . يا له من أمر غريب . . تعلم من الصباح حتى المساء ومع هذا فلديها وقت لتصفيف شعرها . .

وفي تمام الساعة الثامنة انتفضت من مكانها وهي تقول بالفرنسية وببرود وجفاف Au revoir monsoiur وخرجت من الغرفة تاركة وراءها نفس الرائحة الجذابة التي انبعثت منها في المرة السابقة . . ومر على صاحبنا وقت طويل دون أن يصنع شيئاً وظل على مكتبه يفكر . . و خلال الأيام التي تبعت ذلك اليوم اقتنع فروتوف بأن مدرسته جذابة ولكنها رديئة التعليم وعاجزة عن تدريس الرجال المسنين وفكر في ألا يدع وقته يضيع سدى وقرر التخلص منها والبحث عن أستاذ آخر . . وعندما عادت إليه في المرة السابعة أخرج من جيبه ظرفاً بداخله سبعة روبلات . . وأمسكه بيده وبدأ يضطرب وهو يقول لها . . اعذريني يا «الايس» . . إن من الواجب على أن أخبرك أنني في حاجة ملحة . . وعندما رأت الايس الظرف عرفت كل شيء . . وللمرة الأولى خلال دروسها بدأ وجهها يرتعش واختفى منه تعبير رجال الأعمال وتضرج قليلا فأغمضت عينيها وابتدأت ترتجف في حركة عصبية وعندما رأى فروتوف انزعاجها هذا تحقق من أهمية الروبل بالنسبة إليها وكم من المرارة ستتجرعها عندما تفقده . . وبدأ هو يرتعش وازداد اضطرابه فأدخل الظرف في جيبه وهو يقول اعذريني سأغادرك لمدة عشر دقائق فحسب . . وليثبت لها أنه لم يفكر في التخلص منها وإنما كان يريد أن يستأذنها لمدة عشر دقائق خرج إلى

الغرفة المجاورة وقضى فيها تلك الدقائق العشر وعاد إليها أكثر ضيقاً وتبرماً ، وضايقه أكثر أن تكون قد أمضت هذه الدقائق في بعض شؤونها الخاصة . . وابتدأت الدروس مرة أخرى ولم يشعر فروتوف بأي اهتمام لها . . وعندما تحقق من أنه لن يستفيد منها شيئاً أعطى فتاته مطلق الحرية في أن تتصرف كما تشاء ولم يسألها عن شيء ولم يقاطعها في شيء . . وأخذت هي تترجم له كما تشاء عشر صفحات في الدرس الواحد . . ولم يصغ إليها وظل على حاله يلتقط أنفاسه بصعوبة ، ولم يجد أحسن من أن ينظر إلى شعرها المسرح ويديها البضتين وعنقها العاجي أو أن يستنشق عبير ثيابها الجميل ثم أخذ يستغرب لماذا هي باردة معه هذه الفتاة ولماذا تعامله كطفل ولا تبتسم له ، وحاول أن يبعث إلى نفسها الثقة به وفكر في أن يساعدها ثم فكر في أن يخبرها أن طريقتها في التدريس رديئة للغاية . . وفي أحد الأيام جاءت الايس إلى الدرس في ثياب وردية اللون رشيقة التفصيل وقد بدأ صدرها عارياً تماماً وأحاطت بها تلك الرائحة الجذابة فبدت وكأنها تسير على الهواء واعتذرت إليه بأنها لا تستطيع أن تبقى معه أكثر من نصف ساعة لأنها ستخرج من عنده إلى حفلة (راقصة) وظل فروتوف ينظر إلى مؤخر عنقها العاري ويحدث نفسه ويقول لقد فهمت الآن لماذا اشتهرت الفرنسيات بأنهن فتيات مستهترات سريعات الانقياد ؟ وحملتهسحابة العطر التي لا زالت تطوف بها وحمله جمالها إلى جو آخر بعيد عن الدرس والعلم وظلت هي غافلة عن أفكاره هذه بل الأحرى أن تقول غير عابئة بها وجعلت تقلب الصفحات سراعاً وتترجم بصوت عال ، وكان يسير في أحد الشوارع فقابله أحد أصدقائه وقال له :

(انك تبدو حزيناً للغاية لقد أثرت شجوني) .. وكانت قصة الذكريات قد انتهت منذ وقت طويل وترجمت الايس بعدها عدداً من الكتب الأخرى . . وفي يوم آخر حضرت إليه مبكرة بعض الشيء واعتذرت بأنها ستتركه في تمام الساعة السابعة لأنها ذاهبة إلى المسرح الصغير . . وقام فروتوف وارتدى ملابسه وقصد إلى المسرح نفسه ، ولكنه كان يعلل نفسه بقوله انني خارج لمجرد أن أغير مناظر حياتي . . لا للتفكير في الايس . . ولم يستطع أن يعترف لنفسه بأن إنساناً وقوراً مثله يعد نفسه لمستوى من المعرفة والعلم يترك عمله ويذهب إلى المسرح لا لشيء إلا ليرى فتاة لا يعرف عنها إلا أقل ما يمكن معرفته .. وبالرغم من هذا فقد كان قلبه يدق بعنف وكان في فترات الاستراحة ودون أن يعي ما كان يعمل كان يخطو في ممرات المسرح المختلفة كطفل صغير وكأنه يبحث عن إنسان معين . . ولقد شعر بخيبة أمل مريرة عندما انقضى وقت الاستراحة وعندما لمحت عيناه الرداء الوردي الذي اعتاد أن يراه والكتفين الجميلين بدأ قلبه يضطرب في مكانه وكأنه ينظر إلى سعادة قادمة وتفتح أنفه ليستقبل الرائحة الجميلة المنبعثة منها . . ولأول مرة في حياته بدأ يحس بالغيرة تدب في قلبه . . فقد كانت الايس تسير بصحبة طالبين دميمي الشكل و معهما ضابط . . وهي تضحك بملء فيها وتتكلم بصوت عال . . وكان من الواضح أنها سعيدة بما هي فيه مخلصة للحظاتها تلك منتشية بموقفها ذلك ولكن ما السبب ولماذا ؟ . .

ربما كان هؤلاء الرجال أصدقاءها ، ومن وسط اجتماعي مثل وسطها هي . . وأحس فروتوف أن هناك هوة تفصل بينه وبين ذلك الوسط . . وأحنى رأسه تحية لأستاذته فردتها بإيماءة سريعة وأسرعت في خطاها وبدا عليها أنها لا تحرص على أن يعرف رفاقها أن لها تلاميذ وأنها تقوم ببعض

الدروس لتحصل على شيء من المال . . وبعد ذلك اللقاء السريع تحقق فروتوف من أنه غارق إلى أذنيه في هواها .. وفي أثناء دروسه القادمة كان يمتع نفسه بجمال مدرسته وترك لخياله العنان فأخذ يتصور تصورات بريئة وغير بريئة ولم تتغير سحنة الايس ولم يفارق وجهها ذلك البرود الذي كان يطفو عليه . . وفي كل ليلة وفي تمام الساعة الثامنة كانت تردد له بالفرنسية Au revoir monsoiur لا تزيد عليها كلمة ولا تنقص منها حرفاً ولا يصحبها أي تعبير عن رضى أو كراهية ، وتحقق صاحبنا من أنها لا تهتم به وأنها لا يمكن أن تهتم به وأن موقفه ميئوس منه . . وكان أحياناً في وسط الدرس يبدأ يحلم ويؤمل ويضع الخطط وكان يتقدم خطوات أحياناً فيرتب في ذهنه بعض الكلمات التي يستطيع أن يطلعها بها على غرامه ولكنه يتذكر فكرته عن الفتاة الفرنسية وسهولة انقيادها . . وكان مجرد نظرة إلى وجه أستاذته كافياً لأن يطفئ أفكاره تلك كما ينطفيء مصباح عرضته لرياح شديدة.. وفي مرة من المرات غلبت فروتوف نفسه وأصبح في حالة أشبه ما تكون بالهذيان فتعرض لمدرسته وهي خارجة من غرفة الدراسة وأعلن لها غرامه في كلمات متقطعة وصوت مخنوق . . أنت عزيزة علي . . إنني أهواك دعيني أتكلم . . وفقدت الايس صوابها وأصابها شيء كثير من خيبة الأمل لأنها كانت تظن أن هذا الإعلان سيعقبه انقطاعها عن العمل . . ثم حرمانها من الروبل الذي تحصل عليه . . وبنظرات زائغة وبصوت محموم صرخت فيه . . يجب أن تسكت . . لا تتكلم . . أنا أمنعك من ذلك . . ولم ينم فروتوف ليلته تلك وأنبه ضميره وأخذ يلوم نفسه على تهورها وبدا له أنه قد أهان الفتاة ولن تعود بعد يومها ذلك . . ووجد في آخر الأمر

حلا يخرجه من حيرته تلك فقرر أن يبحث عن عنوانها في مكتب من مكاتب الاستعلامات . . وأن يكتب لها خطاب اعتذار في غده . . ولكن الايس لم تنتظر اعتذاراً فقد عادت في اليوم الثاني وبدا في اللحظة الأولى أنها مضطربة بعض الشيء ثم استعادت هدوءها وأخذت تترجم له في صوت جاف سريع كما اعتادت « آه أيها الفتى الشاب لا تقطف هذه الزهرات من حديقتي فلقد أعددتها لأمنحها لابنتي المريضة » ولا تزال تتردد عليه حتى يومنا هذا وقد ترجمت حتى الآن أربعة كتب وفروتوف لم يعرف بعد من الفرنسية سوى كلمة Memoirex وعندما يسأل عن بحوثه الأدبية يلوح بيديه في الهواء . . ودون أن يجيب على هذا السؤال . . يدير الحديث إلى ناحية أخرى . . ليتحدث عن الطقس .

• • •

العقد

للكاتب الفرنسي جي دي موباسان



العقد

للكاتب الفرنسي جي دي موباسان

كانت واحدة من أولئك الفتيات الجميلات الجذابات بالرغم من أن حظها لم يسعدها بأكثر من أن تكون واحدة من أسرة كادحة فلم توفق في زواج سعيد . . ولا في أن تكون ذات شهرة وعلى هذا فقد تركت نفسها تتزوج من موظف بسيط في وزارة المعارف . . وكانت بسيطة في ذوقها إذ لم يكن باستطاعتها أن تكون أكثر من ذلك ولكنها كانت تبدو تعسة دائماً وكأنها تزوجت من فتى أقل منها اجتماعياً . . فإن النساء لا يعترفن بأسرة أو بأصل فجمالهن يخدمهن دائماً ويحلهن المكان الذي يردن .. فليس هناك فرق بين الفتاة القذرة وبين أعلى سيدة في الأرض . . وكانت تقاسي كثيراً في حياتها هذه وتحس أنها لم تخلق إلا للأناقة والفن . تقاسي من فقر منزلها . . من جداره القذرة . . من كراسيه الممزقة . . من ستائره القبيحة . وكانت جميع هذه الأشياء التي لا يحس بها النساء اللاتي هن في طبقتها — تعذبها وكان منظر الفتاة التي تأتي لتعمل عندهم كثيراً ما يثير في نفسها الألم و الأحلام البائسة التي تشغلها فتتصور عدداً من الصالونات هادئة مثقلة بنوع من السجاد الشرقي مضاءة بمصابيح مثبتة في تجاويف من البرنز المرتفع ومن حولها ينبعث دفء الموقد . . وكانت تتخيل أيضاً تلك الصالونات الواسعة تتدلى منها أنواع من الحرير النادر وقطع فاخرة من الأثاث ومجموعة من أدوات الزينة الثمينة وعدداً من الغرف المعطرة . وجدت لتقام فيها بعض الحفلات الخاصة ليرتادها طبقة من المشهورين في المدينة . . وعندما كانت تجلس لطعام الغداء حول المنضدة المستديرة المغطاة بغطاء بال وأمامها زوجها يرفع بيديه غطاء اناء الحساء وهو يصيح

بسرور : – يا له . . من حساء لذيذ . . في هذه الحال كانت هي تتخيل وجبات لذيذة في أوان لامعة . . وعلى حيطان الغرفة تماثيل تزينها تصور خليطاً من الناس عاشوا في الأزمنة السحيقة ، وعدداً من الطيور الفريدة .. في أقفاصها ولم تكن تملك شيئاً من الملابس ولا المجوهرات بالرغم من أن هذه الأشياء كانت هوايتها الوحيدة . . وكانت تحس أنما خلقت لذلك وكانت في نفسها رغبة جامحة إلى أن تكون جذابة معروفة . يقتفي أثرها الناس وكانت لها صديقة غنية . . كانت في يوم من الأيام زميلة لها في المدرسة . . وقد كانت ترفض زيارتها لأنها لا تكاد تعود من تلك الزيارة إلا وتنخرط في البكاء طيلة يومها ذلك . . تبكي بمرارة وحرقة ويأس . . وفي أحد الأيام عاد زوجها رضي النفس . . يحمل في يده مظرفاً كبيراً وهو يصيح بسرور : ان لدي أخباراً تسرك ! وبرقة مزقت الغلاف وأخرجت منه بطاقة دعوة مكتوب عليها هذه الكلمات . . « وزارة المعارف والسيدة راميونو . . يتشرفون بدعوة السيد والسيدة لوزين في الوزارة مساء يوم الأحد الثامن عشر من يناير » وبدلا من أن تسر كما كان يتوقع زوجها ألقت الدعوة بعنف على المائدة وهي تتمتم : ماذا تريد مني أن أصنع بها ؟. فأجابها زوجها . . ما هذا يا عزيزتي ؟.. لقد كنت أظن أنك ستسرين فأنت لم تذهبي إلى دعوة كهذه وهذه فرصة بالنسبة لك . . ولقد قاسيت كثيراً حتى استطعت أن أحصل عليها . . ان كل إنسان يشتاق إلى مثل هذه الدعوة . . فهي دعوة مختصرة جداً . . وقليل من الموظفين سيرتادها .. ولا شك أنك سترين هناك عدداً من علية القوم ، فنظرت إليه بغضب وهي تقول . . وأي نوع من الملابس تقترح أن أرتديه في مثل هذه الظروف ؟ . ولم يفكر كثيراً فتلعثم وهو يقول . . ذلك الرداء الذي اعتدت أن تذهبي به إلى المسرح . انه يبدو جميلا بالنسبة إلي . . وتوقف عن الكلام

وكاد أن يصعق ، رآها تبكي وانحدرت ببطء دمعتان كبيرتان من عينيها واستقرتا بجانب فمها . . وتلعثم وهو يقول لها . . ما الذي حدث . . ما الذي حدث ؟ . . ولكنها استطاعت أن تكبح جماح نفسها وتقول له في صوت هادىء وهي تمسح وجنتيها المبتلتين . . لا شيء ، كل ما في الأمر أنني لا أملك ثياباً ملائمة ولهذا فلن أذهب إلى هذه الدعوة . . فامنح البطاقة أحد أصدقائك الذين تستطيع نساؤهم أن يظهرن أحسن مني . وتمزق قلبه من الحزن فقال لها : كم من المال تحتاجين لشراء رداء ملائم يمكن استعماله في مناسبات أخرى . . رداء بسيط جداً . . وفكرت بضع ثوان ثم أخذت تحسب المبلغ الذي تحتاج إليه وتقدر المقدار الذي تستطيع أن تطلبه دون أن تصدم برفض سريع منه . . وأخيراً أجابت وهي مترددة . . لا أعلم بالضبط ولكني أظن أن بالإمكان عمله في حدود أربعمائة فرنك . . وبدأ وجهه يمتقع لأن هذا المبلغ نفسه يدخره لشراء بندقية عزم على أن يذهب بها مع بعض أصدقائه في الصيف ليصطادوا «االقبرات» في أيام الآحاد . . ثم أجابها بقوله : لا عليك فسأعطيك المبلغ ولكن حاولي أن تشتري ثوباً جميلا بالفعل . . ودنا موعد الحفل . . وبدت زوجته كئيبة حزينة بالرغم من أن ثوبها قد أعد بالفعل . وفي إحدى الأمسيات سألها زوجها : ما الذي حدث فأنت منذ ثلاثة أيام لست على طبيعتك . فأجابته بقولها : انني تعسة جداً فلست أملك ولا مجوهرة واحدة . . وأظنني لن أذهب إلى الحفل فرد عليها زوجها بقوله : تستطيعين أن تطوقي عنقك بعقد من الزهور . . انه يبدو جميلا في هذا الوقت من السنة ولكنها لم تقتنع بقوله وقالت له :

ـ لا شيء أكثر إهانة من أن أبدو فقيرة في وسط كل نسائه ثريات .

– إذن فلتذهبي إلى السيدة فورستير وتسأليها أن تعيرك بعض مجوهراتها.

فأطلقت صيحة وهي تقول : يا لها من فكرة جميلة لم تخطر لي على بال . وفي اليوم الثاني ذهبت إلى صديقتها لتعرض عليها أمرها . . ولم يكن من السيدة فورستير إلا أن انطلقت إلى صوان ملابسها ثم عادت وبيدها صندوق كبير فتحته وهي تقول : اختاري منه يا عزيزتي . فرأت في أول الأمر بعض الأسورة ثم عقداً من اللؤلؤ ثم صليباً من الذهب مرصعاً بجوهرة نفيسة . وحاولت أن ترتدي بعض تلك المجوهرات أمام المرآة وترددت قليلا غير قادرة على أن تقرر شيئاً . ثم سألت صديقتها : ألا تملكين شيئاً آخر غير هذا . فأجابتها بقولها بلى . . ولكني لا أعرف بالضبط ماذا تريدين ؟ وفجأة اكتشفت عقداً نفيساً جداً وبدأ قلبها يدق في عنف ويداها ترتعشان عندما همت بأخذه . . ولكنها أسرعت فثبتته حول عنقها ثم ترددت قليلا وهي تقول : أيمكنني أن أستعير هذا العقد فقط ؟ . .

– نعم وبكل سرور .

حينذاك ألقت بنفسها على صـــدر صديقتها تضمها إليها بحرارة ثم غادرت المنزل ومعها ذلك الكنز وحل موعد الحفل فكانت السيدة لوزين أجمل امرأة فيه وغمرتها السعادة وتطلعت أعناق الرجال إليها يسألون عن اسمها ويودون لو قدموا إليها . وكان الوزير نفسه أحد الذين شاهدوها . . وبدأت ترقص بجنون وتشرب بفرحة دون أن تفكر في أي شيء . . في جمالها المنتصر . في بارقة السعادة التي لاحت في أفقها . . في الرغبات التي أثارتها . . في هذا النصر الذي حققته لقلبها الأنثوي . . وفي حوالي الساعة الرابعة صباحاً غادرت المكان وقد كان زوجها غادرها في حوالى نصف الليل فلما عاد ألقى على كتفها برداء كان قد أحضره لتعود به إلى المنزل وقد كان رداء متواضعاً هو ذلك الرداء الذي اعتادت أن تعود به

إلى بيتها كل يوم فكان فقره يتعارض مع جمال الثوب الذي ترتديه . وقد كانت هي شاعرة بهذه الحقيقة فحاولت أن تسرع في الخروج حتى لا يراها النساء اللواتي يضعن على أكتافهن أنواعاً ثمينة من الفراء – ولكن زوجها ردها برفق وهو يقول انتظري قليلا . ولا شك أنك ستصابين بالبرد وسأذهب لأحضر لك عربة من عربات الأجرة .

ولكنها لم تسمع لكلامه ونزلت مسرعة . وعندما وصلا إلى الشارع لم يجدا عربة تقلهما وحاولا أن يدعوا واحدة منها كانت قد مرت أمامهما .. ولكن دون جدوى . فمشيا متجهين إلى نهر « السين » وهما يرتعدان من شدة البرد وأخيراً لمحا على حافة الرصيف واحدة من تلك العربات التي تجوب شوارع باريس عندما يجن الليل وكأنها تخفي شكلها المزري عن أعين الناس في وضح النهار . .

ووصلا إلى باب منزلهما وبدآ يتجهان إلى غرفهما . . لقد انتهى كل شيء بالنسبة لها . . وأما هو فكان يفكر في عمله الذي سيعود إليه في تمام العاشرة . . وألقت عن عاتقها ذلك الرداء . الذي شدت إليه . . وكأنها تريد أن ترى جمال نفسها أمام المرآة . . وفجأة انطلقت منها صيحة مكتومة . . فلم تر العقد ملتفاً حول عنقها . . وسألها زوجها وهو لا يزال يخلع ملابسه : ما الذي حدث ؟ . . فأدارت وجهها إليه وقد اكتسى علامات الرعب وقالت : أنا . . أنا . . أنا لم أجد عقد السيدة فورستير . . فقفز وهو يصيح ماذا ؟ مستحيل . . وبدآ يبحثان في طيات ثيابها . . وفي ياقته وفي جيوبه وفي كل مكان . . فلم يجداه . . فسألها : هل أنت متأكدة أنه كان موجوداً عندما غادرت الحفل .

ـ نعم لقد لمسته في قاعة الوزارة .

ـ ولكن إذا كنت فقدته في الشارع فكان لا بد أن نسمع صوته وهو يقع على الأرض .

ـ نعم . . ربما . . ولكن هل عرفت رقم العربة ؟

ـ لا . . فهل رأيته أنت ؟

ـ لا . . وبدآ يبحثان صامتين وأخيراً ارتدى ملابسه وخرج وهو يقول سأبحث في ثنايا الشوارع التي مررنا بها لعلي أجده . . وبقيت هي في ملابس المساء غير قادرة على أن تأوى إلى سريرها وظلت على الكرسي دون أن تستطيع التفكير في شيء . وعاد زوجها في حوالي السابعة بخفي حنين . لقد ذهب إلى مركز البوليس وإلى الصحف ليمنح جائزة إلى شركة السيارات وإلى أي إنسان يلقي له ضوءاً يستطيع به أن يهتدي إلى ضالته . . وظلت هي طول اليوم في ارتباكها ذلك . . تفكر في هذه الورطة التي حلت بها . . وقد عاد لوزيل مع المساء وقد غاب الدم من وجهه بعد يوم طويل لم يعثر فيه على شيء . . وقال لها زوجها . . اكتبي إلى صديقتك واخبريها أنه قد كسر مشبك العقد وأنك قد أرسلته ليصلح وسنجد بهذه الطريقة وقتاً نبحث فيه . . وبدأت تكتب كما أملى عليها .

وفي نهاية الأسبوع فقدا كل أمل في العثور عليه . . فقال لها لوزيل لا بد لنا أن نعوضها عما فقدناه . . وفي اليوم الثاني أخذا العلبة التي كان فيها العقد وذهبا إلى الجوهري الذي وجدا اسمه عليها . . وأخذ يبحث في دفاتره وأجاب ـ لست يا سيدتي الذي باع هذا العقد وربما كنت أنا الذي بعت المشبك فقط . . فأخذا يسيران من حانوت إلى آخر يبحثان عن عقد شبيه بذلك المفقود . . وفي أحد الحوانيت وجدا عقداً بدا لهما أنه شبيه بالذي فقداه وكانت قيمته حوالي أربعين ألف فرنك وأخيراً

رضي أن يبيعهما إياه بستة وثلاثين ألفاً . . ورجواه ألا يبيعه خلال ثلاثة أيام .. ونظما أمورهما على أن يعيداه إليه إذا وجدا عقدهما المفقود قبل نهاية شهر فبراير ويتسلما منه أربعة وثلاثين ألفا . . وكان لوزيل يملك ثمانية عشر ألفاً تركها له والده فعزم على أن يقترض بقية المبلغ . وظل يجمعه ألفاً من هذا وخمسمائة من ذلك وظل يكتب اقرارات بالمبالغ التي استلمها.. وهكذا رهن بقية حياته في العمل مخاطراً بسمعته دون أن يعرف ماذا كان يستطيع دوماً أخذه أم لا . . مروعاً مما يخبئه له وجه الزمان الأغبر . . من البؤس الذي سيحل به . وهكذا ذهب إلى الجوهري ليضع فوق مائدته ستة وثلاثين ألف فرنك . . وضعها وأمام عينيه منظر متجسم لكل فقر يمكن أن يحل به . . وعندما عادت السيدة لوزين لصاحبتها ومعها العقد الجديد قالت لها بصوت قاس . . كان ينبغي أن يعود إلي حالا . . فلربما احتجت إليه . . ولم تفتح العلبة كما كانت السيدة لوزين تخشى وتقول في نفسها إذا ما لاحظت التغير فماذا تقول . . أليس من المتوقع أن تعتبرني لصة .

ومنذ ذلك اليوم بدأت السيدة لوزين تعرف معنى حياة الفقر المدقع الشاحبة . . ومنذ ذلك اليوم أيضاً بدأت تقوم بدورها ببطولة فائقة . . فهذا الدين لا بد من قضائه . . ولا بد أن تقضيه هي . . فطرد الخادم . . وغيرا الشقة وأخذا لهما غرفة في أعلى المنزل وأخذت أعمال المنزل تضغط عليها من واجب المطبخ الثقيل وغسل الصحون . مبلية أظافرها الوردية على الخزف الخشن وأطراف القدور . . وجعلت تغسل الكتان القذر والقمصان . . وخرق الآنية ثم تدليها على الحبل وفي كل يوم كانت تأخذ صندوق النفايات إلى الشارع وتصعد بالماء فتقف في كل دور لتلتقط

أنفاسها وككل امرأة فقيرة كانت تذهب إلى الفاكهاني . . وإلى البقال والخباز . . وسلتها على كتفها فترد على أعقابها . . وتقتتل من أجل نصف بنس توفره . . ففي كل شهر كان عليها أن تدفع مبلغاً من المال . . وكان زوجها بدوره يعمل في المساء في أحد المحال التجارية . وفي أغلب الأحيان كان يجنه الليل وهو ينسخ بعض الأوراق مقابل بنسين ونصف للصفحة الواحدة . وهكذا ظلت الحياة تتقاذفهم عشر سنين . وفي نهاية السنة العاشرة كان كل المبلغ قد دفع . ومعه شباب السيدة لوزين . وككل امرأة في وضعها أضحت قاسية خشنة تجعد شعرها وتدلى في غير نظام واحمرت راحتاها وفقد صوتها نعومته . وصار يجلجل ولكنها مع هذا كانت في بعض الأحيان عندما يكون زوجها في مكتبه . تجلس بجانب النافذة وتفكر في ليلة ذاهبة بعيدة عن حياتها . ليلة حفل الوزارة يوم أن كانت جميلة للغاية مثيرة لنفوس الرجال للغاية أيضاً .

ما الذي كان يحدث لو أنها لم تفقد العقد لا أحد يعلم . لا أحد . . ما أغرب الحياة كم هي متقلبة . وما أقل ما يحطم حياة الإنسان وما أتفه ما ينقذها . وفي يوم من أيام الآحاد وبينما كانت تسير متمشية تجدد ما فقدته طيلة ذلك الأسبوع ، رأت فجأة امرأة بيدها طفل تسير معه للنزهة ولم تكن تلك السيدة سوى صديقتها فورستير شابة لا تزال جميلة كما كانت ، جذابة كما هي ، وتملكت السيدة لوزين عاطفة حادة ، أتكلمها . ؟ نعم وبالتأكيد . . فالآن بعد أن أدت ما عليها فستخبرها بالحقيقة ولم لا . . ؟ وتقدمت نحوها تحييها بتحية الصباح ولم تعرفها تلك وتملكتها الدهشة من أن سيدة فقيرة كهذه تدعوها باسمها . وكأن بينهما سابق ود وتلعثمت وهي تقول . لكن يا سيدتي . أنا لا أعلم . . لا بد أنك أخطأت .

– لا . أنا . . لوزين وندت من صديقتها صيحة . آه . يا لك من

بائسة كم تغيرت .

– نعم لقد مرت بي ظروف عصيبة منذ آخر مرة رأيتك فيها . ومر بي كثير من الآلام . وكلها من أجلك .

– من أجلي . وكيف كان ذلك . ؟

– أتذكرين ذلك العقد الذي أعرتنيه يوم حفل الوزارة . .

– نعم .

– حسناً لقد فقدته .

– كيف تقولين ذلك . لقد أعدته إلي .

– لقد أعدت إليك آخر شبيهاً به . وظللنا عشر سنين ندفع قيمته . . فأنت تعلمين أننا لا نملك شيئاً . . ومع هذا فأنا سعيدة بعد أن دفعنا ما علينا .

وترددت السيدة فورستير وهي تقول أتزعمين أنك اشتريت عقداً آخر بدل الذي فقد . .

– نعم ولم تلاحظي ذلك بالطبع . . لقد كانا متشابهين للغاية وانحنت بفخر وسعادة بريئة .

وتأثرت السيدة بكلامها . وأخذت راحتيها و هي تقول . . يا لك من مسكينة !! . . لقد كان عقدي زائفاً . . لا يساوي على أكبر تقدير أكثرمن خمسمائة فرنك . . . ! !

السجين

للكاتب الروسي ليو تولستوي



السجين

للكاتب الروسي ليو تولستوي

في مدينة فلاديمير كان يعيش شاب يدعى « ايفان ديمتريسن اكسيوتوف » وكان يملك محلين تجاريين ومنزلا يسكنه ، وكان شاباً رشيقاً أشقر الشعر حسن الهندام محباً للمرح مغرماً بالغناء ، وكان يعكف في أول أيام شبابه علي الشراب حتى إذا أخذ منه كل مأخذ عاد يعربد ويثرثر ، ولكنه بعد أن تزوج ترك تلك العادة وإن كان لا يزال يحن إليها بين وقت وآخر . . وذات مرة في الصيف أراد اكسيوتوف أن يذهب إلى (سوق نزهنر) وعندما ودع أسرته قالت له زوجه : — ايفان لا تذهب في هذا اليوم فلقد رأيت حلماً مزعجاً بالنسبة لك ، فضحك وهو يقول لها : انك تخافين انني عندما أصل إلى السوق أغرق في اللهو والمرح . . فأجابته بقولها . . لا أعرف بالضبط مما أخاف وكل ما اعرفه أنني رأيت حلماً مزعجاً فلقد رأيتك بعد أن عدت إلى مدينتك وألقيت قبعتك عن رأسك . . وقد اشتعلت شيباً ، فضحك اكسيوتوف وهو يرد عليها بقوله : انه فأل حسن . . وسأذكرك فسأبيع بضاعتي وأعود إليك بكثير من الهدايا . . وهكذا ودع أسرته وسار . . وفي الطريق قابل أحد أصدقائه التجار ونزلا في فندق واحد ليقضيا ليلتهما تلك . . وتناولا شيئاً من الشاي معاً . . ثم تركه إلى غرفته ولم يكن من عادة اكسيوتوف أن ينام إلى وقت متأخر . . ورغبة منه في أن يسافر في جو بارد فقد أيقظ سائقه قبل الفجر وأمره أن يهيىء نفسه للسفر . . ثم أخذ طريقه إلى صاحب المنزل « وقد كان يسكن كوخاً في الخلف » ودفع له حسابه ثم واصل رحلته . . وبعد أن سار حوالي خمسة وعشرين ميلا وقف ليريح الخيل ويطعمها وجلس هو يستريح في ممر الفندق . . ثم تركه إلى الردهة.. وطلب شيئاً من الشاي ثم أخرج

قيثارته وبدأ يعزف عليها ، وفجأة سمع صوت عربة قادمة تحمل ضابطاً يتبعه جنديان . . ووقف الضابط أمام اكسيوتوف وبدأ يستجوبه . . سأله عن نفسه . . ومتى قدم . . فأجابه اكسيوتوف بصراحة مردفاً قوله : ألا تريد أن تتناول معي شيئاً من الشاي ولكن الضابط أخذ يقاطعه بالأسئلة ويقول له أين قضيت ليلتك الماضية . . ؟ أكنت وحدك . . أم كان معك رفيق من التجار . . ؟ وهل رأيته في الصباح . . ؟ ولماذا سافرت قبل الفجر . . وعجب اكسيوتوف من هذه الأسئلة ولكنه أجاب عنها بصراحة تامة وأضاف قائلا لماذا تستجوبني كأنما أنا لص . . أو قاطع طريق ، أنا مسافر أسعى لعملي . . ولا داعي لكل هذه الأسئلة . . حينذاك دعا الضابط جنوده وقال . . أنا ضابط بوليس هذه المنطقة وقد سألتك هذه الأسئلة لأن التاجر الذي قضيت معه ليلتك الماضية وجد مقتولا ولا بد أن نفتش متاعك . . ثم دخلوا المنزل وأخذ الجند والضابط يحلون متاع اكسيوتوف .. ويبحثون فيه . وفجأة سحب الضابط سكيناً من إحدى الحقائب صائحاً .. لمن هذه السكين . . و تطلع اكسيوتوف ليرى سكيناً ملطخة بالدماء تؤخذ من حقيبته فأصيب بذعر شديد : —

— ما هذا . . انها سكين ملطخ بالدم .

وحاول اكسيوتوف أن يجيب ولكنه لم يستطع أن ينطق بكلمة وأخيراً تلعثم وهو يقول لا أدري ليست لي . . حينذاك قال الضابط . . في هذا الصباح وجد التاجر في سريره مقطوعة عنقه . . وأنت الشخص الوحيد الذي صنعت ذلك فالمنزل مقفل من الداخل ولم يكن ثمة أي شخص آخر . . وها هي السكين الملطخة بالدماء في حقيبتك وهذا وجهك وحركاته تنمان عنك . . وعلى ذلك أفدني كيف قتلته وكم من المال سرقته منه . . وأخذ اكسيوتوف يقسم أنه لم يفعل شيئاً من ذلك . . و أنه لم ير التاجر بعد أن

تناولا الشاي معاً . . وأنه لا يملك شيئاً من النقود سوى ثمانية آلاف روبل هي ملكه الخاص . . وان السكين ليست له ولكن صوته أخذ يتحشرج ووجهه يصفر ويبدأ يرتعد من الخوف كأنما كان قاتلا بالفعل . . فأمر الضابط جنوده أن يقيدوه وأن يضعوه في العربة وأخذ اكسيوتوف ينتحب فقد أخذت نقوده وبضاعته وسيق إلى أقرب مدينة وحبس فيها . . ثم جرت بعض الاستفسارات عن شخصية فلاديمير . . وشهد تجارها ومواطنوها أنه كان في بدء شبابه كثير الشراب مسرفاً على نفسه منفقاً وقته في اللهو ولكنه كان رجلا طيباً . . ثم حل موعد المحاكمة فاتهم بقتل تاجر من ريازان وسرقة عشرين ألف روبل . . وأصيبت زوجته بخيبة أمل كبيرة . . ولم تعرف ماذا تفعل وكان أطفاله جميعاً صغاراً فأحدهم لا يزال طفلا مشدوداً إلى صدرها فأخذتهم جميعاً وذهبت إلى المدينة التي فيها سجن زوجها . . فمنعت باديء الأمر من رؤيته . . ولكنها بعد أن أخذت تتوسل وترجو سمح لها بذلك وعندما رأت زوجها في ثياب السجن مصفداً في الحديد مع جماعة من اللصوص والمجرمين وقعت مغشياً عليها ولم تعد إلى صوابها إلا بعد زمن طويل . . عند ذلك ضمت إليها أطفالها وجلست قريبة منه وأخذت تحدثه عن بعض أمورهم المنزلية . . وسألته عما حدث له فروى لها قصته فسألته ماذا تستطيع أن تعمل الآن فقال لها :

لا بد أن نقدم التماساً إلى القيصر حتى لا يهلك إنسان بريء فأخبرته بأنها أرسلت ولكنه رفض ولم يجب اكسيوتوف وأرخى رأسه إلى الأرض. . عند ذلك قالت له زوجه : — لم يكن عبثاً ما رأيته في منامي من أن شعرك غدا أشهب . أتذكر ؟ ! لقد كان واجبك ألا تسافر ثم أخذت تعبث

بأناملها في شعره وهي تقول : عزيزي : اطلع زوجتك على الحقيقة ، ألست أنت الذي فعل ذلك . . ؟ فأجابها اكسيوتوف : حتّى أنت تشتبهين في ، وأخفى وجهه في راحتيه وجعل ينتحب وعند ذلك قدم جندي ليخبر السيدة وأبناءها بوجوب مغادرة السجن حالا . .

وهكذا ودع اكسيوتوف أسرته للمرة الأخيرة ، وعندما انصرفوا أخذ يعيد الشريط أمام عينيه وعندما مرت أمام عينيه صورة زوجته وهي تتهمه معهم ظل يقول لنفسه يبدو أن الله وحده يعلم بالحقيقة وله وحده سأشكو ومنه فقط سألتمس العفو . . ولم يعد اكسيوتوف إلى كتابة التماسات جديدة . وفقد كل أمل .. إلا من الله .. ثم حكم عليه بالجلد والإرسال إلى المناجم وهكذا جلد حتّى إذا برئت جروحه سيق إلى سيبيريا مع عدد من المجرمين وظل اكسيوتوف ستة وعشرين عاماً في سيبيريا كأحد المجرمين فغدا شعره أبيض كالثلج . . وطالت لحيته واكتست بياضاً بشهبة . . وانطفأت جذوة مرحه وطأطأت قامته . . وبطأ مشيه وقل كلامه . . ولم يمر على شفتيه خيال باسم . . ولكن الصلاة كانت عزاءه الوحيد . . وهناك تعلم في السجن صناعة الأحذية وكسب منها شيئاً من المال اشترى به « حياة القسيسين » وأخذ يعكف على قراءة هذا الكتاب عندما يكون نور السجن كافياً للقراءة . . وفي أيام الآحاد كان يذهب إلى كنيسة السجن ليقرأ أيضاً ويشترك مع جوقة المغنيين فلا زال صوته جميلا . . وأحب رجال السجن اكسيوتوف لوداعته . . واحترمه زملاؤه المسجونون . . وكانوا يدعونه بالجد أحياناً وبالقديس أحياناً وعندما كانوا يريدون شيئاً من رجال السجن كانوا يجعلونه المتحدث عنهم وعندما كانت تحدث مشادات بين المسجونين أنفسهم كان يدعى . . ليضع الأمر في نصابه . .

ولم تصل اكسيوتوف أخبار من وطنه ولم يعلم حتّى ما إذا كانت زوجه

وأولاده على قيد الحياة أم لا . . وفي أحد الأيام قدمت دفعة جديدة من المجرمين . . فأخذوا يسألون عن مدنهم وقراهم التي أتوا منها .. وعن الجرائم التي ارتكبوها حتى سيقوا إلى سيبيريا . . وجلس بينهم اكسيوتوف قريباً من رفاقه الجدد مطاطيء الرأس يسمع ما يدور من حديث وقد كان من بين الوافدين رجل طويل القامة قوي الساعد في الستين من عمره حليق اللحية . . أخذ يروي عليهم قصته فقال حسناً يا رفاقي . . أنا لم أجرم سوى أنني أخذت حصاناً كان مربوطاً في مزلجه فاتهمت بالسرقة بالرغم من أنني أفهمتهم : أني أنا أخذته لأصل إلى البيت سريعاً وعند ذلك سأدعه وخاصة أن السائق صديق لي ولكنهم رفضوا قولي وأجابوني بكلا . . انما سرقته ولكن كيف ومن أين ؟ فهم لا يستطيعون الإجابة على ذلك ولقد ارتكبت مرة بالفعل إحدى الجرائم وكان خليقاً بي أن أساق إلى هنا منذ زمن بعيد ولكنهم لم يعثروا علي آنذاك وهكذا أرسلت لغير ما ذنب جنيته وعلى كل فقد أرسلت إلى سيبيريا قبل الآن ولكني لم أمكث فيها كثيراً فسأله أحدهم من أين أنت ؟

– من فلاديمير واسمي ماكار . .

وأدعى أيضاً سميونتش . . فرفع اكسيوتوف رأسه وسأله أتعرف شيئاً عن أسرة اكسيوتوف التاجر ألا يزال منهم أحد في الحياة ؟

– أعرفهم طبعاً . فهي أسرة غنية بالرغم من أن والدهم في سيبيريا مخطئاً كأحدنا ولكن أخبرني أيها الأب الشيخ . كيف جئت إلى هنا ولم يرد اكسيوتوف أن يتحدث عن حظه السيء وأجابه بقوله لما ارتكبته من خطايا فقد عوقبت بستة وعشرين سنة هنا .. فسأله ماكار أي خطأ تقصد ، ولكن

اكسيوتوف لم يزد على قوله لا بد أنني أستحق ما أنا فيه ولم يرد أن يسترسل أكثر من هذا. ولكن رفاقه أخبروا الوافدين الجدد كيف قدم اكسيوتوف .. وكيف أن شخصاً مجهولاً قتل التاجر ووضع سكينة وسط متاع اكسيوتوف، فاتهم بتلك الجريمة خطأ. وعندما سمع ماكار ذلك نظر إلى اكسيوتوف وضرب قدمه بالأرض وهو يقول .. ما هذا .. ؟ يا للغرابة ولكنك تبدو شيخاً كبيراً الآن فسأله بقية الرفاق لماذا استغرب هكذا و أين رأى اكسيوتوف قبل الآن ولكن ماكار لم يجب واكتفى بقوله .. انه لمن الصدف العجيبة أن نلتقي هنا. جعلت هذه الكلمات اكسيوتوف يستغرب ما إذا كان هذا الرجل يعرف قاتل التاجر وعلى هذا قال له لعلك قد سمعت عما حدث أو لعلك رأيتني قبل الآن.

– كيف أستطيع ألا أسمع والدنيا مليئة بالإشاعات ولكن هذا أمر مضى عليه زمن طويل وقد نسيت ما سمعت.

– لعلك سمعت شيئاً عن قاتل التاجر .. فضحك ماكار وقال .. لعل قاتله ذلك الذي وجدت السكين بين متاعه ولو أن شخصاً خبأها هناك فهو ليس لصاً حتى يقبض عليه .. كما يقول المثل ولكن كيف يستطيع إنسان أن يضع سكيناً في حقيبتك وهي تحت رأسك فقد كان من المحتم أن تستيقظ آنذاك .. وعندما سمع اكسيوتوف ذلك .. تأكد أن هذا قاتل التاجر .. فانتصب وغادر المكان الذي هم فيه .. ولم ينم في ليلته تلك .. وأحس بالشقاء .. وتحركت أمام عينيه كل صور حياته .. فهذه صورة زوجته وقت أن تركها إلى السوق .. انه يراها كما لو كانت ماثلة أمام عينيه .. يسمع كلامها وضحكاتها. وهناك صورة أطفاله الصغار كما كانوا في ذلك الوقت، أحدهم في معطف يلفه والآخر في حضن أمه. وهذه صورته كما لو كان .. شاباً مرحاً .. وتذكر مجلسه وبيده القيثارة

يعزف عليها عندما قبض عليه . . وكيف كان خلياً آنذاك . . ورأى بعينيه المكان الذي انهالت عليه السياط فيه من الجلاد . . الناس ملتفون حوله . . القيود . . المجرمون . . وتذكر كل الستة والعشرين عاماً التي قضاها وصيرته هذه الذكريات المنهالة عليه شقياً لأبعد الحدود حتى انه فكر في قتل نفسه . . كل ذلك بسبب هذا الوغد . ! وأحس بالحنق الشديد على «ماكار» وتحرق إلى الانتقام منه . . ولو كلفه ذلك حياته .. وظل طول الليل يردد صلاته ولكن السلام لم يرفرف على نفسه . . . وخلال اليوم لم يقترب من ماكار بل ولم ينظر إليه . . وهكذا مر أسبوعان لم يستطع اكسيوتوف أن ينام خلالهما . . وأصبح تعساً لدرجة لم يستطع أن يعمل معها شيئاً . . وفي إحدى الليالي وبينما كان يمشي في السجن إذ رأى غباراً متصاعداً من تحت إحدى الصخور التي ينام عليها المسجونون فوقف ليتأكد من ذلك . . وفجأة أخذ ماكار سيمونتش يزحف من تحت الصخرة ونظر إلى اكسيوتوف بهلع . . فحاول اكسيوتوف أن يمر دون أن ينظر إليها ولكن . . هذا أمسك بيده وأخبره بأنه حفر نفقاً تحت الحائط . . وأنه كان يتخلص من التراب بوضعه في حذائه العالي وإفراغه في كل يوم على قارعة الطريق عندما كان السجناء يساقون إلى عملهم ثم أضاف وعليك أن تلتزم الهدوء أيها الشيخ وستنجو أنت أيضاً أما إذا أفشيت سري سيكون مصيري الموت دون شك ولكني سأقتلك أولا.. فارتعد اكسيوتوف غضباً وهو ينظر إلى عدوه وسحب يده منه قائلا . . لا حاجة لي إلى الهرب . . ولا داعي لقتلي فلقد قتلتني منذ زمن طويل أما إفشاء السر أو عدمه فسيكون ذلك حسب إرادة الله . . وفي اليوم الثاني . وبينما كان المجرمون يساقون إلى

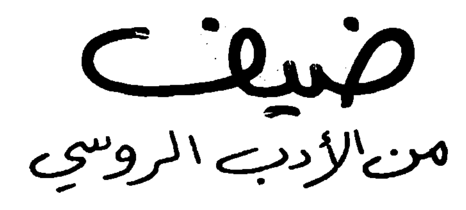
أعمالهم . . لاحظ جنود الحراسة واحداً أو أكثر يفرغ بعض التراب من حذائه ففتش السجن وعثر على النفق و قدم الحاكم واستجوب كل المسجونين ليعثر على من حفر ذلك النفق فأنكر الجميع معرفتهم لذلك . . وكان أولئك الذين يعلمون حقيقة الأمر لم يبلغوا به لأنهم يعلمون أنهم سيشنقون حتماً وأخيراً اتجه الحاكم إلى اكسيوتوف .. لما عرف عنه من طيبة وصدق . وقال له أنت رجل صادق فأخبرني عن الذي حفره ووقف ماكار وكأن الأمر لا يعنيه محدقاً في الحاكم غير ملتفت إلى اكسيوتوف وارتعدت شفتا اكسيوتوف ويداه ، وظل لمدة طويلة لا ينبس بكلمة وأخذ يفكر . لماذا أنقذ من أفسد حياتي . . دعه يدفع جزاء ما قاسيته ولكن سينزعون روحه حتماً من بين جنبيه . . وربما كنت متهماً له في ذلك وهو بريء وأخيراً ما الذي أجنيه . وكرر الحاكم قوله . أجبني أيها الشيخ تكلم . من الذي كان يحفر أسفل الحائط : حملق اكسيوتوف في وجه ماكار وقال : . لا أستطيع أن أتكلم انها مشيئة الله . فاصنع ما شئت بي فأنا بين يديك . وبقدر ما حاول القائد مع اكسيوتوف إلا أنه لم يزد على ذلك كلمة واحدة و هكذا ترك الأمر . وفي تلك الليلة . و بينما كان اكسيوتوف ممدداً على فراشه يستقبل النوم . إذ أحس بأن إنساناً ما دخل إليه بهدوء وجلس على حافة سريره . وحملق اكسيوتوف في الظلام وعرف ماكار . . فقال له ماذا تريد مني أكثر من هذا . لماذا قدمت إلى هنا . وظل ماكار صامتاً فجلس اكسيوتوف وقال ماذا تريد . . اذهب عني . وإلا دعوت الحارس.. وهنا انحنى ماكار على اكسيوتوف وهمس في أذنيه . ايفان اغفر لى .

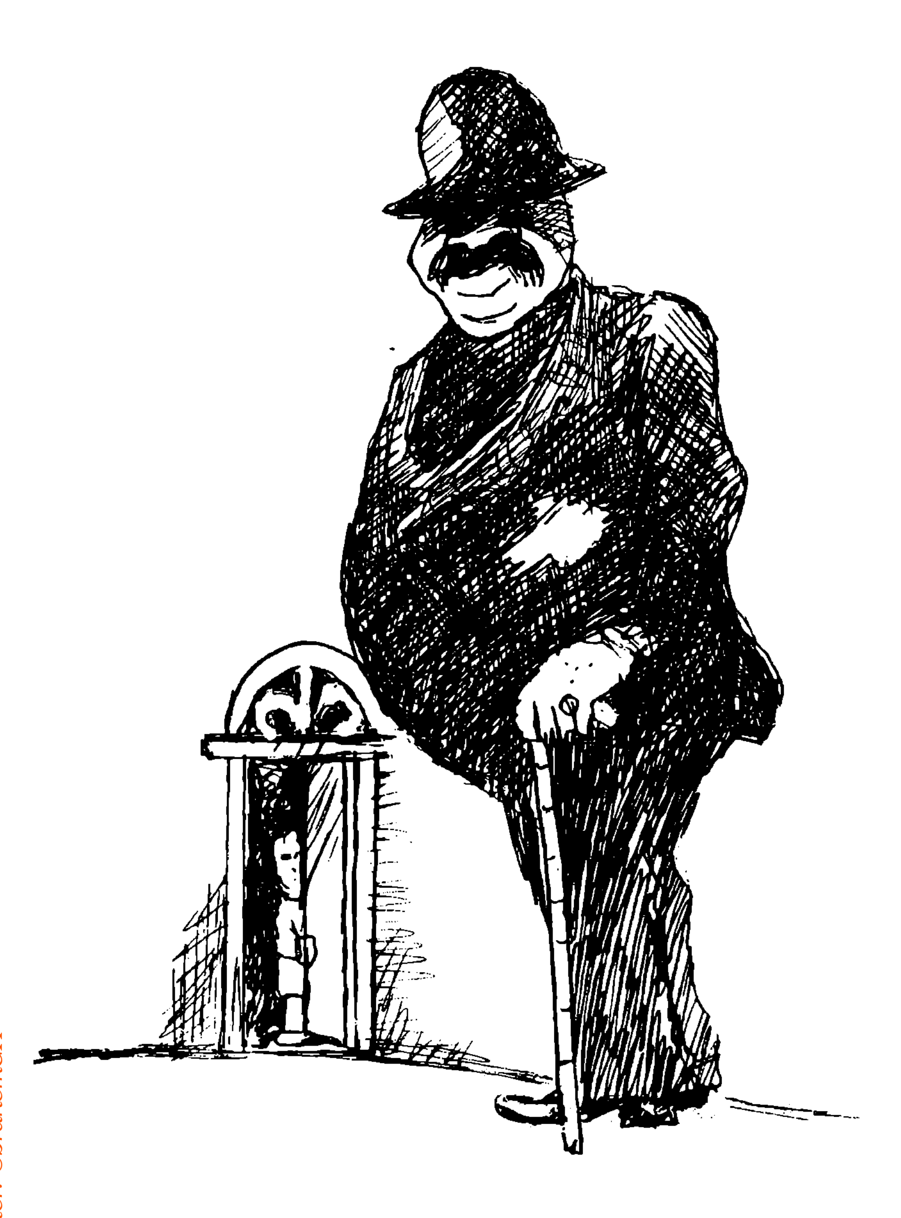
ـ أغفر لك ماذا ؟ !

ـ لقد كنت أنا قاتل التاجر وقد أخفيت سكيني وسط متاعك . ولقد قصدت أن أقتلك أنت أيضاً ولكني سمعت صوتاً خارج الغرفة فخبأت

السكين وهربت من النافذة . . وظل اكسيوتوف صامتاً ولم يعرف ماذا يقول . فانزلق ماكار من السرير وركع على الأرض وهو يقول : اصفح عني يا ايفان . من أجل الله . اصفح عني وسأعترف بأني أنا قاتل التاجر وسيفرج عنك وتعود إلى أهلك .

– انه من السهل عليك أن تتكلم .. فلقد قاسيت بدلا منك طيلة ستة وعشرين عاماً فأين أذهب الآن لزوجتي الميتة أم لأبنائي الذين لا يعرفونني . ولكن ماكار لم يرفع رأسه . وظل مطأطئاً وهو يقول : اصفح عني لقد كنت رحيماً بي ولم تخبرهم عني . اصفح عني فأنا شقي وبدأ يجهش بالبكاء وعندما سمعه اكسيوتوف بدأ هو الآخر يبكي ويقول : ليغفر الله لك فربما كنت أسوأ منك مائة مرة . وعند هذه الكلمات بدأ قلبه يضيء وغادرته الرغبة في العودة إلى وطنه . ولم يعد يحس بوحشة في السجن وكان كل أمله أن تدنو ساعة أجله . وبالرغم مما قاله اكسيوتوف فقد اعترف ماكار بجرمه . ولكن عندما صدرت الأوامر باطلاق اكسيوتوف كان هو قد انتقل إلى عالم آخر . . إلى القبر .


ضيف
من الأدب الروسي



ضيف

من الأدب الروسي

كانت الطبيعة غارقة في الظلام . . وكانت نسائم الليل قد ماتت في أجواء الفضاء . . وآوت الطيور إلى أوكارها وانكفأت قطعان الأغنام إلى حظائرها وكانت زوجة زلترسكي قد دلفت إلى غرفتها منذ وقت طويل . . حتّى الخدم كانوا قد استغرقوا في نومهم ، وباختصار كان كل شيء هادئاً في تلك الليلة ما عدا (زلترسكي) الخبير القانوني فقد كان يغالب النوم ويذوده عن عينيه، وجفناه مطبقان على بعضهما وكلما حاول فتحهما ارتدا مرة أخرى . . والحقيقة أن لديه في تلك الليلة ضيفاً هو الكولونيل المتقاعد (بيريجادين) الذي كان يقطن في فيلا ريفية قريبة منه ، وكان قد وصل إليه بعد الغداء وجلس على الأريكة ولم يتحرك ولا مرة واحدة من فوقها وكأنما شد إليها شدا . . كان يجلس في مكانه ذلك ويقص في صوت مبحوح أخن قصة كلب مسعور كان قد عضه في (كريمنشنج) في عام ١٨٤٢ وعندما ينتهي من سرد قصته تلك يعود ويبدؤها من جديد مرة أخرى . . وكان زلترسكي في أشدّ حالات الضيق وأخذ يفكر في طريقة يتخلص بها من جليسه . . نظر في ساعته وهو يقول انه يحس بألم في رأسه . . وترك الغرفة التي يجلس فيها ضيفه عدة مرات ولكن جهوده ذهبت سدى فلم يفهم ضيفه من ذلك شيئاً وبدأ يعيد على مسمعه قصة الكلب المسعور ، وثارت ثائرة زلترسكي وبدأ يفكر في هذا العجوز الأحمق الذي سيظل على جلسته تلك حتّى الصباح . . وأخذ يقول لنفسه

إذا لم يفهم هذه التلميحات العادية سأجد طرقاً أخرى تجعله يغادر منزلي . .
ثم انبرى إليه وهو يقول في صوت مرتفع . . اسمع أتعرف لماذا أفضل أنا حياة الريف ؟

– لمـــاذا ؟

– الحقيقة أن الإنسان هنا يستطيع أن يحيا حياة منظمة . . بينما الحياة في المدينة على عكس ذلك . . فنحن هنا نستيقظ في تمام الساعة التاسعة ونتناول غداءنا في الساعة الثالثة وفي تمام الساعة العاشرة نتناول عشاءنا . . وعند منتصف الليل نكون قد نمنا . . ولو حدث – لا سمح الله – أنني تأخرت عن هذا الموعد فسيلازمني طيلة اليوم الثانى صداع حاد . .

– أنت لم تقل بالطبع ان ذلك يتوقف على ما اعتدته . . وأنت تعلم أن لي صديقاً اسمه كليشكن وهو برتبة كابتن وقد تعرفت عليه في « سر باخونو » . . وصديقي هذا . . وبدأ الكولونيل يفهق ويلمظ بشفتيه ويؤشر بأصابعه الغليظة . . ثم أخذ يقص على مضيفه قصة (كليشكن) . . وكان الوقت قد جاوز منتصف الليل وبدأت عقارب الساعة تشير إلى الثانية عشرة ونصف . وتفصد زلترسكي عرقاً ولم يفهم شيئاً من محدثه . . وأخذ يسأل نفسه هل يظن هذا الغبي أنني مسرور بحديثه . . وفجأة قاطعـــه بقوله : ان حلقي يؤلمني منذ الصباح الباكر فقد ذهبت إلى زيارة ابن صديق لي مصاب (بالدفتيريا) وقد انتقلت إلي عدواه فأصبت مثله بالدفتيريا .

فأجابه بريجادين بصوته المتخوم وبهدوء غريب هل أصبت حقاً ؟ !

– نعم انه لداء خطير ولا تمكن الوقاية منه . . ومن المحتمل جداً أن تنتقل هذه العدوى إلى غيري وكان أملي ألا أنقلها إليك .

– إلي أنا . . ها – ها . . لقد عشت في مستشفى الحميات ولم يصبني شيء أتظن أنك ستنقل إلي العدوى . . ها ها . . لا يا صديقي العزيز . .

ان رجلا محافظاً مثلي لا يمكن أن يصاب بأي أذى . . وما أكثر ما يعرفه المسنون . . لقد كان معنا في فصيلتنا كولونيل عظيم جداً ينحدر من أصل فرنسي . وبدأ بريجادين يصف لمضيفه ذلك الكولونيل العظيم جداً وتمتم زلترسكي بصوت منخفض . .

– اعذرني إذا كنت قد قطعت عليك حديثك . . في أي ساعة تنام ؟ .

– أحياناً في الساعة الثانية صباحاً وأحياناً في الثالثة وأحياناً لا آوى إلى فراشي مطلقاً . . وخاصة إذا كنت بصحبة رجل لطيف أو إذا كان (رومتزمي) ثائراً . . وفي هذا اليوم مثلا سآوي إلى فراشي في الساعة الرابعة صباحاً فلقد نمت نومة طويلة قبل الغداء وباستطاعتي ألا أنام مطلقاً . . لقد كنا في أيام الحرب مثلا لا ننام أسابيع واني لأذكر جيداً أننا عسكرنا قرب (اخالتسيخ) .

– اعذرني فلقد تعودت أن أنام في الساعة الثانية عشرة . . لأستيقظ في التاسعة وعلى هذا سأذهب إلى سريري سواء أرضيت أم لا . .

– طبعاً انه لمن الضروري للصحة أن تستيقظ مبكراً . . وهذا ما حدث لنا عندما عسكرنا بقرب اخالتسيخ .

– . . انني أحس بقشعريرة . . بحمى . . لقد تعودت ذلك قبل كل نوبة من نوباتي فأنا صاحب نوبات عصبية تعتريني في الساعة الواحدة صباحاً ولكنها لا تصيبني في أثناء اليوم فأشعر في رأسي بضجة . . بز بز بز . . فأفقد شعوري وأنقض على كل شيء أمامي من أثاث المنزل فأقذفه . . ولو كانت أمامي سكينة لقذفتها أو كرسي لقذفته . . وأنا أحس الآن بقشعريرة وربما كانت بداية لتلك النوبة التي حدثتك عنها . .

– هل تعودت ذلك . . ؟

– نعم . . ولقد أخذت على نفسي أن أحذر أصدقائي وكل من معي في الدار حتى يخرجوا قبل النوبة بوقت قصير . .

– ما أكثر الأمراض التي انتشرت في الدنيا . . كوليرا . . طاعون . . نوبات . . وضرب الكولونيل على رأسه بيده وغرق في تفكير عميق . . ومرت فترة صمت . . وشغلت زلترسكي فكرة ما الذي يحدث لو أنني قرأت له الرواية التي كتبتها وأنا طالب في المدرسة لعلها تكون سبباً في خروجه . .

وقطع زلترسكي حبل تفكير بريجادين بقوله . . هل تحب أن أقرأ عليك بعض ما كتبت ؟ . لقد حاولت في أوقات فراغي . . كتابة قصة ذات خمسة فصول ومقدمة وخاتمة ودون أن ينتظر جواباً قفز زلترسكي من مقعده وأخرج من أحد أدراج مكتبه مخطوطة قديمة حائلة اللون كتب عليها (الارتفاع) قصة من خمسة فصول . . وأخذ يقول لنفسه وهو يقلب صفحات روايته سأقرأ له فيها حتى يستغيث . . ثم قال لجليسه :

– حسناً اسمع إلي .

– بكل سرور فأنا أحبها . .

وبدأ زلترسكي يقرأ . . فمد الكولونيل ساقيه واستراح في مقعده وارتسمت على وجهه أمارات الجد . . وكان من الواضح أنه يعد نفسه للسماع لفترة طويلة . . وأخذ زلترسكي يقرأ وصفاً للطبيعة . . وعندما دقت الساعة الواحدة كانت الطبيعة قد أخلت المكان لوصف القصر . . الذي كان يسكن فيه الكونت (فالنتين بلنسكي) وعلق بريجادين على ذلك بقوله : إنني أحب أن أعيش في قصر كهذا ، يا لها من قصة جميلة إنني أستطيع البقاء هنا لأجيال طويلة . .

وحدث زلترسكي نفسه بقوله انتظر قليلا فستصرخ حالا . . وأخذ يقرأ وفي الساعة الواحدة والنصف أخلى القصر الطريق إلى وصف لمنظر البطل الجذاب وفي الساعة الثانية تماماً بدأ زلترسكي يقرأ بصوت حالم هادىء . . تسألينني ماذا أريد أريد أن نكون هناك . . بعيدين جداً تحت قبة سماء الجنوب ويداك الناعمتان ترتعدان بين يدي وهناك هناك فقط سيعزف قلبي ألحان الحب تحت قباب صرح عواطفي . . الحب الحب . . « وتوقف عن القراءة » وهو يقول لا لا أستطيع أن أستمر لقد بذلت كل جهدي فأجابه الكولونيل بقوله حسناً القها الآن وسنكملها غداً ودعنا نتكلم الآن . . وعلى كل فلم أخبرك بما حدث في اخالتسيخ . فألقى زلترسكي نفسه إلى الخلف وأغمض عينيه وابتدأ يصغي وهو يفكر .. لقد حاولت جهدي وسيجلس هنا حتى الساعة الرابعة . . إلهي . . ماذا أصنع ؟؟ إنني مستعد أن أدفع مائة روبل ، مقابل لحظات أقضيها في سريري الدافيء . . آه إذا سأسأله أن يقرضني بعض المال يا لها من فكرة ممتازة وقاطع الكولونيل بقوله . . أنا آسف لأنني قاطعتك أثناء حديثك للمرة الثانية أريد أن أسألك سؤالا بسيطاً . . الحقيقة انني أنفقت أثناء إقامتي هنا في الريف مبلغاً كبيراً من المال وببساطة فأنا لا أملك ولا درهما واحداً ولكني أتوقع بعض المال في آخر هذا الشهر . . وفجأة نفخ (بريجادين) . . بمنخره وهو يبحث عن قبعته وقال . . لكن . . لقد قضيت وقتاً طويلا عندك . . فلقد تجاوزت الساعة الثانية بعد منتصف الليل فماذا كنت تقول لي ؟ .

إنني أريد أن أقترض مبلغ مائتي روبل من أي إنسان . . ألا تعرف

أحداً يمكنه أن يقرضني ذلك المبلغ . .

– كيف أستطيع أن أعرف إنساناً يقرضك هذا المبلغ ؟؟ وإلى اللقاء وبلغ تحياتي لزوجك العزيزة .

وأخذ الكولونيل قبعته وتقدم خطوة نحو الباب فقال له (زلترسكي) في انتصار إلى أين أنت ذاهب . . إنني أريد أن أسألك فلقد عرفت إنسانيتك . . وآمل أن . .

– غداً غداً . . ولكن الآن إلى زوجتي إنها تنتظر زوجها المحبوب . . ها ها ها . . إلى اللقاء يا صديقي العزيز . .

وضغط بريجادين على يد زلترسكي بسرعة ووضع قبعته على رأسه وغادر الدار . . وهكذا انتصر المضيف ؟

الرجل الذي يعرف كل شيء

لسومرست موم



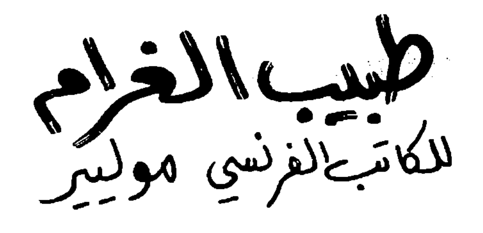
لا أدري لماذا كنت أكره ماكس كلادا ، حتى قبل أن أتعرف إليه وكان مجرد ذكره أمامي يسئمني . . وقد حدث مرة وفي أعقاب الحرب أن كنت مسافراً من سان فرانسيسكو إلى يوكوهاما . . وكانت حركة المسافرين عبر المحيط عنيفة جداً فكان من المستحيل عليك أن تجد مكاناً شاغراً في سفينة . . ويوم أن حصلت على مقعد شاغر اعتبرت نفسي سعيداً بهذه المناسبة . . ولكنني عندما سمعت اسم رفيقي في الرحلة بدأ قلبي يغور بين أضلعي فقد كانت فكرة مشاركة إنسان لك مقصورتك في رحلة تدوم أربعة عشر يوماً كافية لمضايقتك فما بالك إذا كان رفيقك هذا ماكس كلادا . . وعندما غادرت غرفتي وجدت عدداً كبيراً من حقائب المسافرين تحمل اسم كلادا وكان هو واقفاً على حوض الغسيل وبدأ لي في وقفته تلك أنه نموذج للرجل الممتاز فكان يحتفظ معه بكل ما يحتاجه من دهان للشعر ومعجون خاص به . ومن فرش مختلفة من خشب الأبنوس تزينها مقابض ذهبية . . وحاولت أن أتجاهله واتخذت طريقي إلى غرفة الشاي وأخذت علبة من ورق وبدأت ألعب وفجأة وقف أمامي وسألني إذا كان اسمي كذا أم لا . . وقدم نفسه إلى على أنه السيد كلادا فحييته وأخبرته أنني أعرف أننا نقتسم غرفة واحدة . . وسألني ما إذا كنت إنجليزياً أم لا . ودخلنا في حديث عادي . . أخرج بعده من جيبه زجاجتين من الشراب وقدمهما إلى فاخترت إحداهما وبدأنا نحتسي وأنا أقول له إنه لشراب لذيذ ،كان صاحبي ثرثاراً كثير الكلام يتحدث في كل شيء ؛ كان يحدثني عن نيويورك وعن سان فرانسيسكو ويناقش المسرحيات والأفلام المختلفة ويتحدث في السياسة . ومع هذا فلم أحب

كلادا وكنت قد تركت لعبة الورق التي بدأتها عندما دخل علي ولكني شعرت الآن أن الوقت طال بنا فعدت إلى لعبتي مرة أخرى . . وكان يعلق على لعبي حتى ضقت منه فتركت العلبة فأخذها وهو يقول ، أتحب خدع الورق ؟ . . فأجبته بأني أكرهها ولكنه أصر على أن يريني واحدة منها . . وأراني ثلاثاً وأخبرته أخيراً بأني ذاهب إلى غرفة الطعام فأجابني بأنه قد حجز لي مقعداً هناك بجانبه . . ومع هذا فلم أكن أحبه . . ولم تكن مشكلتي أنه يشاركني غرفتي أو أنه يتناول معي وجباتي الثلاث ولكن المشكلة كانت أنه لا يتركني لحظة واحدة ولم يكن من المستطاع أن أزجره وهو لم يكن يخطر على باله أنه غير مرغوب فيه . . وكان يعتقد أنك مسرور برؤيته ما دام هو مسروراً برؤيتك وقد كان سريع الاختلاط بالناس فلم تمض ثلاثة أيام حتى كان يعرف كل إنسان على ظهر الباخرة ، وكان يدير كل شيء في الباخرة كان ينظم الخدم ويقود المبيعات بالمزاد ويجمع النقود المختصة بالرياضة وكان ينظم الملابس التنكرية بحفلات الرقص وكنا نسميه العالم بكل شيء ، حتى أمامه . . ومع هذا فقد كان مكروهاً من الجميع وقد كانت أوقات الطعام أكثر الأوقات مضايقة لنا وحتى عندما كنا نجلس إلى الطبيب كان هو يستعمل معلوماته التي كانت تحيط بكل شيء . . وكان معنا رجل يسمى رامزي وكان قانونياً مثل كلادا وكثيراً ما كان يغضب منه وكانا يتناقشان مناقشة طويلة وجافة . وكان رامزي هذا يشتغل بأعمال القنصلية الأمريكية وكان مستقراً في كوبا وهو شاب من الوزن الثقيل يرجع في أصله إلى منطقة الشرق الأوسط وقد ذهب في زيارة سريعة إلى نيويورك لاحضار زوجته التي قضت هناك سنة مع أهلها . وكانت زوجته هذه لطيفة رشيقة . . ذات حلاوة خاصة وكانت ملابسها بسيطة ولكنها جميلة ونظيفة وقد كان أجمل ما فيها أنها

متواضعة تواضعاً لا تكاد تجده عند غيرها من النساء . . وفي ليلة من ليالي رحلتنا الطويلة هذه كان الحديث يدور حول اللؤلؤ . وقد وجدنا في الصحف التي بين أيدينا حديثاً طويلا عن اللؤلؤ الصناعي الذي كان يصنعه اليابانيون . . وكعادته أخبرنا كلادا بكل شيء عن اللؤلؤ . . ورامزي الذي كنت أعتقد أنه لا يعرف شيئاً عنه وجدها فرصة ليهاجمه وبعد خمس دقائق كنا وسط مناقشة حامية عن اللؤلؤ . . وسمعنا كلادا يقول إنني ذاهب إلى اليابان لعمل خاص باللؤلؤ الصناعي . فأنا تاجر لآليء ، وكل ما يمكن معرفته عن اللؤلؤ أعرفه أنا . . ولأول مرة عرفنا عمل كلادا . . فبالرغم من كثرة ثرثرته لم يتعرض لعمله . . وفجأة أشار إلى عقد من اللؤلؤ يطوق عنق زوجة رامزي وهو يقول لها إن عقدك هذا لن يفقد سنتاً واحداً من قيمته فحملقت فيه كعادتها وأخفت العقد بين طيات ثيابها فقال له السيد رامزي إنني لم أشتره أنا بنفسي ولا أعرف قيمته فهل تستطيع أنت أن تخبرني عنها فأجابه نعم إنه يساوي خمسة عشر ألف دولار وربما ارتفعت قيمته إلى الضعف فضحك رامزي وهو يقول له ان زوجتي اشترته بـ ثمانية عشر دولاراً فقط وإنه من اللؤلؤ الزائف فاحتد كلادا وانتهى بهما الأمر إلى أن تراهنا على مائة دولار ، وناول السيد رامزي العقد إلى كلادا وفجأة استحال لون زوجة رامزي إلى صفرة مخيفة وكادت أن يغمى عليها وحانت التفاتة من كلادا إليها . . وكان من الظاهر انه بذل مجهوداً كبيراً ليضبط نفسه ويقول أنا آسف فهو عقد زائف بالفعل وأخرج من جيبه مائة دولار وسلمها له وهو صامت وقد انتشرت القصة في السفينة كما تنتشر أي قصة وكان محزناً جداً

أن نجد الذي يعرف كل شيء ينهزم هكذا ولكن زوجة رامزي ليلتها ، غادرتنا إلى غرفتها وهي تشكو الصداع وفي اليوم الثاني وبينما كنت أحلق ذقني سمعت خلف الباب حركة ورأيت خطاباً تحته ففتحته فلم أجد أحداً وقرأت الكتاب ووجدته مرسلا إلى السيد كلادا .. وفض الغلاف ووجد فيه شيكاً بمبلغ مائة دولار . . ونظر إلى وهو يبتسم فسألته هل كان العقد من اللؤلؤ الحر فأجابني وهو يضع المائة دولار في حقيبته . . لو كانت لي زوجة جميلة لما تركتها تعيش سنة في نيويورك بينما أنا أعيش في كوبا . . . ومنذ تلك اللحظة لم أكره كلادا . .

* * *


طبيب الغرام
للكاتب الفرنسي موليير



المنظر الأول

الأشخاص : سجناريل ، امنت ، ليكرس ، السيد جوليوم ، السيد جوس .

سجناريل : ما أغرب الحياة وما أصدق ما قاله ذلك الفيلسوف القديم من أن الأحزان تذهب بالأموال وأن المصائب لا تأتي فرادي ! ! فأنا لا أملك سوى زوجة واحدة ومع هذا فقد ماتت .

السيد جوليوم : كم زوجة إذا كنت تود أن يكون لديك ؟

سجناريل : لقد أحسست يا صديقي بفقدها إحساساً عميقاً ، فلا أكاد أذكرها إلا وأنا أشرق بدموعي ! ومع هذا فلم تكن زوجة مثالية فكثيراً ما كنا نتشاجر ولقد توفي كل أطفالي منها ولم تبق لي سوى ابنة واحدة هي سبب شقائي فلا تكاد تراها إلا حزينة . . غارقة في أحزانها وكأنها تحمل هموم الدنيا على عاتقها . . ومع هذا فليس لحزنها هذا من سبب حتى لقد بدأت أحس أنا بكل ما تحس به فما أحوجني إلى إنسان استشيره . . فأنت يا ليكرس ابن أخي . وأنت يا امنت جاري ، وأنتما يا سيد جوليوم ويا سيد جوس صديقاي ورجلا أعمال فبما ذا تنصحونني ؟

جوس : حسناً . . إذا أردت أن تعرف رأيي فأنا متأكد أن أهم

ما يشغل ذهن الفتاة هو الحلي والزينة ولو كنت مكانك لاشتريت لها هذا اليوم مجموعة من الجواهر أو الياقوت أو الزمرد .

جوليوم : أما أنا فلو كنت مكانك لقدمت لها مجموعة من السجاجيد المزينة بالمناظر الطبيعية لتضعها في غرفتها ولا شك أنها ستعود إلى طبيعتها بعد هذا .

امنت : لا . . إن كل ما ذكرتموه لن يفيدها في شيء ولو كنت مكانك لزوجتها حالا وبأسرع ما يمكن على الفتى الذي خطبها منذ وقت .

ليكرس : في رأيي أن ابنتك لن يلائمها الزواج مطلقاً فهي لا تزال ضعيفة البنية ولا تقوى على العمل ولو حدث أنك زوجتها فإنها ستموت . . وهي علاوة على ذلك غير صالحة للحياة الاجتماعية ونصيحتي لك أن تضعها في دير من الأديرة حيث تجد الهدوء والاطمئنان النفسي .

سجناريل : أنا لا أشك في أن اقتراحاتكم وجيهة لكنها في الواقع غير صالحة للتنفيذ فأنت يا سيد جوس تريد أن تبيع مجوهراتك . . والسجاجيد المزخرفة حرفتك أنت يا سيد جوليوم ! ولا شك أن لديك شيئاً منها تريد أن تتخلص منه . . أما أنت أيها الجار العزيز امنت فأنا أعلم أنك تحبها ويهمك ألا ترتبط بغيرك وأنت يا ابن أخي تعلم أنني لا أفكر في زواجها فلهذا عرضت علي أن أرسلها إلى الدير لتكون أنت وريثي الوحيد . . وعلى هذا ومع أن اقتراحاتكم وجيهة إلا أنني أعتذر عن تنفيذها وأنا شاكر لكم .

(يخرج الجميع ويبقى وحده)

— حسناً أظن أن كل النصائح الغالية ستكون مثل هذه ..

تدخل (ليوسند)

ها هي ابنتي خارجة تستنشق الهواء وأظنها لم ترني بعد . . (موجهاً إليها الخطاب) ليسعدك الله يا ابنتي . . صباح الخير وكيف أنت ؟ . ألا تزالين حزينة كعادتك ؟ لماذا لا تخبريني ؟ . تعالي إلي . . وافتحي قلبك لوالدك . . لا تحاولي أن تخفي شيئاً (يبتعد عنها) كم يسوءني أن أراها على هذا الحال (موجهاً إليها الخطاب) أظنه يسوءك أن ترى أباك يموت حزناً عليك . أخبريني عن سبب حزنك فقط وأعدك انني أنفذ كل ما تريدين وأقسم لك لن يكون في الوجود شيء يسرك إلا أحضرته لك . . دعيني اسألك هل أنت غيورة لأن واحدة من أترابك ترتدي ملابس أجمل من ملابسك . . لا . . لا أظـــن . . أليست غرفــــة نومك مؤثثة أثاثاً حسناً ؟ بلى.. أتريدين أن أحضر لك هدية صغيرة ؟ أتريدين أن تدرسي سأحضر لك مدرساً خاصاً في الموسيقى . لا تردين أيضاً ، على كل حال لا أظن أنك تحبين أو انك تفكرين في الزواج ؟ !

ليوسند : (تبدو عليها علامات الرضى)

تدخل (ليزيت)

ليزيت : سيدي لقد قضيت معها وقتاً طويلا فهل استطعت أن تعرف شيئاً ؟

سجناريل : لا لم أستطع ؟ ان هذه الفتاة الطائشة تعذبني .

ليزيت : دعني يا سيدي أتحدث معها قليلا .

سجناريل : لا لا داعي لمثل هذا . . إذا كانت تصر على موقفها فخير طريقة أن تتركيها وشأنها .

ليزيت : دعني أحاول فلعلها تستطيع أن تحدثني بحرية أكثر . . (سيدتي) ألا تريدين أن تحدثيني ؟ . هل أنت مصممة أن تتركينا حيرى هكذا ؟ وإذا كنت تخجلين من والدك فلماذا تخافين مني أنا ؟ . ألم يقل لك والدك أكثر من مرة انه مستعد لأن يقدم لك كل ما تريدين ؟ ألست تملكين الحرية الكاملة ؟ هل تريدين مزيداً من هذه الحرية . . هل ضايقك أي إنسان هل تحبين شاباً وتريدين أن تتزوجيه . . ؟ آه لقد فهمت كل شيء ولكن لماذا كل هذا الاضطراب سيدي لقد عرفت السر ان المشكلة هي . .

سجناريل : اخرجي أيتها الابنة العاقة . . وليس لدي ما أقوله لك زيادة عن هذا سأتركك وشأنك . .

ليوسند : ولكنك انت طلبت إلي أن أخبرك عن . .

سجناريل : لا لم أعد أحبك

ليزيت : سيدي ان المشكلة هي . .

سجناريل : المشكلة هي أن فتاة طائشة تود أن تودي بحياة أبيها . .

ليوسند : لا يا أبي ولكني أريد . .

سجناريل : لقد كنت أتوقع أنك ستكافئيني على عنايتي بك .

ليزيت : ولكنك يا سيدي

سجناريل : لا لم أعد أحتمل أكثر من هذا .

ليوسند : ولكنك أنت . .

سجناريل : لا لن أهتم بك . .

ليزيت : انها فتاة متعبة .

– لكن . .

– فتاة عاقة . .

– غبية كل فتاة لا تعترف بخطئها . .

– انها تريد أن تتزوج

– (كأنه لم يسمع شيئاً) لا . . لقد غسلت يدي منها

– زوج

– لم أعد أحتمل أكثر من هذا

– زوج

– انها ليست ابنتي

– زوج

– لن أسمع أي كلمة

– زوج . زوج . . ز . . و . . ج . .

(يخرج)

ليس في الدنيا أصم من الذين لا يريدون أن يسمعوا .

ليوسند : حسناً يا ليزيت لقد ظننت أنني كنت مخطئة عند ما كنت ساكتة . . وظننت أنني لن أحتاج إلا إلى كلمة واحدة لينفذ بعدها أبي كل ما أريد فلقد رأيت كل شيء :

ليزيت : يا له من رجل أحمق

ليوسند : وماذا يفيد كل هذا ، أتظنين أنني لم أتوقع ما حدث ؟ لقد يئست تماماً عندما رفض أن يزوجني من الرجل الذي تقدم لخطبتي

ليزيت : ماذا ؟ أتعنين أن هذا الغريب الذي تقدم لخطبتك هو الذي . .

ليوسند : لعل من المعقول أن تخفي فتاة غرة عواطفها . أما أنا فأقول لك بصراحة انني لو خيرت فلن أختار سوى هذا الرجل . . ومع اننا لم نتبادل الحديث ، ومع انه لم يحدد شعوره نحوي إلا أنني أحس بعواطفه في كل نظرة من نظراته ، وفي كل حركة من حركات أعضائه ولم يكن لي بد من أن أبادله نفس الشعور ، ولكن ما الفائدة إذا كان والدي يمانع في زواجنا ؟

ليزيت : دعي لي كل شيء ، وبالرغم أنه كان من المفروض أن أستاء لعدم ثقتك في إلا أنني لن أخذلك في هذا الظرف . فإذا كنت مصممة على . .

ليوسند : ماذا أعمل إذا ظل والدي في موقفه هذا ! ؟

ليزيت : يجب عليك ألا تدعي والدك وحده يفكر في مستقبلك فأنت لست طفلة . . ماذا يريد منك ؟ — ألست فتاة بالغة رشيدة ؟ وعلى كل سنجد مخرجاً من هذا المأزق . ومن الآن فصاعدا اعتمدي علي فلن أعدم حيلة لك ..

ولكنه قادم الآن فاخرجي ودعيني معه (يخرجان)

سجناريل : (وحيداً) ما أجمل أن يدعي الإنسان الغباء أحياناً فقد نجحت في منعها من إبداء رغبتها . . يا لها من صفقة خاسرة تحل بالآباء . . هل هناك أقسى من أن تجمع ثروتك بعرق جبينك وأن تربي ابنتك بكل عناية . . كل هذا لتمنح المال والابنة في يوم من الأيام لرجل غريب لم يعان أي شيء في تربيتها كلا ثم كلا فلن أسمح لابنتي بالزواج ولن أفرط في أي شيء من مالي .

ليزيت : (تجري على المسرح وكأنها لم تر سجناريل وهي تصيح) يا للكارثة الله لك يا سيدتي — أين أنت الآن ؟

سجناريل : (متنحياً عنها) ماذا تقول!

ليزيت : (وهي تدور) يا لك من أب شقي ماذا تعمل عندما أخبرك بما حدث .

سجناريل : بعيداً عنها . ما الذي يمكن أن يحدث ؟

ليزيت : لك الله يا سيدتي

سجناريل : لا بد أن يكون قد وقع شيء ما

ليزيت : آه !

سجناريل : (يجري خلفها) ليزيت ، ليزيت . (خارجة) يا له من شيء فظيع ! !

سجناريل : ليزيت . .

ليزيت : ما هذا الحظ السيء ؟

سجناريل : ليزيت . .

ليزيت : يا لها من مصيبة !

سجناريل : ليزيت . .

ليزيت : (واقفة) آه يا سيدي .

سجناريل : ماذا حدث ؟

ليزيت : ابنتك . .

سجناريل : آه

ليزيت : لا تتأوه فلن تستطيع أن تغير من الواقع شيئاً .

سجناريل : تكلمي بسرعة

ليزيت : ابنتك . . لقد تأثرت بما قلت لها وأنت غضبان ، فأسرعت إلى غرفتها وهي يائسة كل اليأس . . وفتحت النافذة وحدقت في النهر .

سجناريل : وماذا حدث ؟

ليزيت : رفعت عينيها إلى السماء وهي تقول : لا . لن أستطيع أن أعيش بعد أن أغضبت والدي . . فلقد تبرأ مني كابنة له ولم يبق أمامي إلا الموت . .

سجناريل : وهل ألقت بنفسها في النهر

ليزيت : لا سيدي بل أقفلت النافذة تماماً ، وألقت بجسدها على سريرها وهي تبكي . . وفجأة اصفر وجهها وتوقفت دقات قلبها عن العمل ، وألقت بنفسها بين ذراعي

سجناريل : آه . . ابنتي . . لقد ماتت إذن !

ليزيت : كلا يا سيدي فلقد استطعت أن أعيدها إلى حالتها الطبيعية ، ولكن النوبة لا تزال تعاودها وما أظنها

ستعيش حتى آخر اليوم .

سجناريل : الخادم ، الخادم الخادم (يدخل الخادم)

سجناريل : أسرع وأحضر عدداً من الأطباء ، آه يا ابنتي (يخرج سجناريل)

(يطرق الخادم على باب فيخرج منه أربعة أطباء)

المنظر الثاني

سجناريل ، ليزيت ، الأطباء

ليزيت : سيدي لماذا دعوت أربعة من الأطباء ان طبيباً واحداً باستطاعته أن يقضي على ابنتك . . ؟

سجناريل : هدئي نفسك فإن أربعة أفكار خير من فكر واحد .

ليزيت : ألا تستطيع أن تدع ابنتك تموت من غير مساعدة أي إنسان ؟

سجناريل : هل تعنين أن الأطباء يقتلون الناس ؟

ليزيت : طبعاً فأنا أعلم أن رجلا كان يذكر أنه لم يحدث أن مات إنسان بالحمى أو التهاب البليور أو مع هذا فقد مات هو على يد أربعة من الأطباء واثنين من الصيادلة .

سجناريل : هدئي نفسك فلا ينبغي لنا أن نجرح شعور هؤلاء الناس .

ليزيت : وعلى فكرة يا سيدي . . لقد وقع (هرنا) من أعلى المنزل إلى الشارع واليوم قد مضى عليه ثلاثة أيام لم يذق خلالها لقمة . . ولعل من حسن حظه أنه لا يوجد لدينا أطباء قطط وإلا لقضوا عليه وامتصوا دمه .. و ..

سجناريل : هدئي نفسك ما هذا . . ؟ لم أسمع كلاماً سخيفاً مثل كلامك . . لقد قدموا

ليزيت : ستتأكد الآن مما قلته لك سيقولون لك ان بابنتك كثيراً من الأمراض (يدخل الأطباء . . تومي دي فونادري ، ماكروتين بهيز)

سجناريل : حسناً أيها الرجال

دكتور تومي : لقد فحصنا ابنتك بكل عناية وتأكد لدينا أنها ملأى بالأوساخ !

سجناريل : ماذا ؟ ! ابنتي وسخة ؟

د. تومي : من الواجب أن أقول ان هناك كثيراً من الأوساخ في جسمها وان هناك أيضاً كثيراً من التعفن في اخلاطه

سجناريل : آه لقد فهمت

دكتور تومي أنا أقترح أن نعقد اجتماعاً

سجناريل : أسرعوا أحضروا مقاعد للأطباء المحترمين

ليزيت (مخاطبة الدكتور تومي) هل أنت معهم يا دكتور ؟

سجناريل : كيف استطعت أن تعرفي الدكتور تومي ؟

ليزيت : لقد رأيته في بيت صديق ابن أخيك .

د. تومي : كيف صحة سائقه ؟

ليزيت : بخير . . لقد مات

د. تومي : مات

ليزيت : نعم

د. تومي : مستحيل

ليزيت : أنا لا أعلم ما إذا كان مستحيلا أم غير مستحيل وكل ما أعرفه انه مات

د. تومي : أقول لك إنه لا يمكن أن يموت

ليزيت : حسناً وأنا أقول لك انه ميت ومدفون

د. تومي : لقد أخطأت

ليزيت : لقد رأيته بنفسي

د. تومي : لقد قال (هيبوقراط) ان المرضى الذين هم مصابون بهذا الداء يعيشون أربعة عشر يوماً أو واحداً وعشرين.. ولم يمر على هذا المريض سوى ستة أيام منذ مرض

ليزيت : ليقل (هيبوقراط) ما شاء ولكن المريض قد مات

سجناريل : إلى ليزيت ، هدئي نفسك أيتها الثرثارة واخرجي من هذا المكان — أيها السادة أرجوكم أن تهتموا باجتماعكم ولقد نسيت أن أقدم لكم المبلغ اللازم (يقدم نقوداً إلى كل واحد منهم) ويخرج هو وليزيت يجلس الأطباء الأربعة .

د. دي فونادري : لقد أصبحت باريس مدينة ضخمة جداً .

د. تومي : تعلم أنني أملك بغلة ممتازة جداً . . ولكنك لم تصدق ما أقوله لك عنها .

د. دي فونادري : أما أنا فلي حصان عجيب

د. تومي : هل تعلم ما هي الحادثة . . التي عملتها بغلتي اليوم ؟ لقد انطلقت بها من جانب المخازن الحربية إلى ضاحية

سان جرمان ومنها إلى ماري ومن نهاية ماري إلى ميناء سان هو نوري . . ومن ميناء سان هو نوري . . إلى ضاحية سان جرمان إلى ضاحية سان جاك إلى ميناء رشليو ومن ميناء رشليو إلى هنا وسأنتقل من هنا إلى القصر الملكي .

د. دي فونادري : لقد فاق حصاني بغلتك فلقد سار كل هذه المسا وزاد عليها انني ذهبت به إلى مريض .

د. تومي : لقد ذكرتني . . ما رأيك في المناقشة الدائرة بين الدكتور ثبو فراست وبين الدكتور ارتميوس ويبدو لي أن الأطباء قد انقسموا إلى قسمين

د. دي فونادري : أما أنا . . فأميل إلى رأي ارتميوس

د. تومي : وأنا مثلك صحيح أنه بطريقته قد قتل المريض وأن أفكار ثبو فراست ربما أنقذته وأظنه سيناقش تشخيص الكلية العليا للداء . . أو لا تظن ؟

د. دي فونادري : لا أشك في ذلك . . وعلى كل فيجب التمسك بالنظام الرسمي مهما حدث

د. تومي : أنا أؤيد فكرة النظم لا بين الأصدقاء . . فلقد دعي ثلاثة منا إلى الإجتماع برجل ليس من كليتنا وقمت أنا بالعمل فلم أترك إنساناً يبدي رأيه بغير الطريق الرسمي وبالطبع كان أهل المريض يتبعون التعليمات ولكن المريض تغير حاله من سيء إلى أسوأ . . وعلى كل فلقد مات أخيراً

د. دي فونادري : ما أجمل أن تعلم الناس كيف يتصرفون . وأن تشعرهم بجهلهم

(يدخل سجناريل)

سجناريل : أيها السادة . . ابنتي تزداد حالتها سوءاً فأرجو إخباري بما اتفقتم عليه

د. تومي : « إلى دكتور دي فونادري » إذاً يا سيدي ؟

د. دي فونادري : تكلم أنت أولا « لو سمحت »

د. تومي : لا لا يمكن . . يجب عليك أن تتكلم أنت أولا

د. دي فونادري : لا أستطيع أن أبدي رأياً قبلك

د. تومي : يا سيدي أرجوك

د. دي فونادري : أرجوك يا سيدي

سجناريل : أرجوكم أن تقدروا الأمر وتنهوا المناقشة

(يتكلم الأربعة في وقت واحد)

د. تومي : ان شكوى ابنتك

د. دي فونادري : في رأي هؤلاء السادة

د. ماكروتين : بعد عقد الاجتماع

د. بهيز : أن تعتبر

سجناريل : واحداً واحداً أرجوكم

د. تومي : لقد ناقشنا حالة ابنتك وفي رأيي أن داءها هو ارتفاع في ضغط الدم ولهذا يجب « فصدها »

د. دي فونادري : في رأيي أن مرضها تعفن في الأخلاط الجسمية متسبب عن التخمة أو أي شيء آخر ومن الواجب اعطاؤها شيئاً مقيئاً

د. تومي : في رأيي أن اعطاءها مقيئاً سيقتلها

د. دي فونادري : بالعكس ان فصدها الآن سيقتلها

د. تومي : أنت تحاول أن تبدو ماهراً

د. دي فونادري : أنا متأكد مما أتكلم به

د. تومي : أتذكر كيف طبخت أوزة صديقنا في ذلك اليوم ؟

د. دي فونادري : وتذكر أنت المرأة التي ماتت على يدك منذ ثلاثة أيام..؟

د. تومي : « مخاطباً سجناريل » :
لقد عرفت رأيي

د. دي فونادري : (إلى سجناريل) أنت تعرف ماذا أعني

د. تومي : إذا لم تفصد ابنتك فتأكد أنها ستموت (يخرج)

د. دي فونادري : لو فصدتها فلن تعيش أكثر من ربع ساعة (يخرج)

سجناريل فيم أعتقد ؟ . . وماذا أصنع إذا كان لكما رأيان متناقضان ؟ . .

أرجوكم أن تخبروني بفكرة أنقذ بها ابنتي

دكتور ماكروتين (يتكلم ببطء) : سيدي في مثل هذه الحالات يجب على الإنسان أن يسمع بكل عنايه ولكن دون أن يعمل شيئاً .

دكتور بهيز (بصوت متلعثم سريع) نعم . . يحـ . . يحـ .. يحتاج الإنسان إلى أن يكون ذا عناية فليس الأمر لعبة أطفال وليس من السهل أن تضع الأمر في نصابه إذا . . إذا . . إذا . . ما ارتكبْ خطأ

سجناريل (متنحياً عنهم) . . رجل بطيء كالنعش . . والآخر لا يستطيع أن يـ .. يب .. يبصق بسهولة ..

دكتور ماكروتين (بنفس الطريقة الأولى) إذا أردت أن تعرف الحقيقة فداء ابنتك داء مزمن وستكون النهاية وخيمة إذا لم تتدارك الأمر . . وخاصة أن الشواهد تدل على أن بخاراً أسود فاحماً ألهب الغشاء المخي . . وهذا الداء الذي يدعوه اليونانيون "Atmos" ينتج عن تعفن والتصاق تام بالجزء الأدنى من البطن .

دكتور بهيز يبدو أن المسألة أخطر من هذا وأن البخار قد صعد إلى منطقة المخ نفسه .

دكتور ماكروتين ان المشكلة هي أن كميات كبيرة من العصارة ستنفذ . . وأظن أنه من الواجب علينا أنْ نعطيها شيئاً مسكناً . . أقصد منعماً للجسد . . وبعض الحقن وقليل من الشراب .

د. بهيز : أخيراً عدنا إلى المطهرات وإلى الفصد

د. ماكروتين : من الواجب علي أن أقول مع كل هذا العلاج انه من المحتمل أن تموت ابنتك ولكننا نعمل كل هذا لتقتنع بأنك حاولت جهدك و قد عقدنا هذا الاجتماع لتعلم أنها ماتت حسب قوانين الطب . . (رسمياً)

دكتور بهيز – نعم انه . . لمن الأفضل أن يموت الإنسان حسب القوانين خير من أن يعيش دونها

د. ماكروتين : لقد أبدينا لك آراءنا ولم ندخر وسعاً في ذلك

سجناريل (مقلداً ماكروتين) أنا مقدر لكم (ومقلداً

بهيز) وش وش شاكر على مجهودكم . . (يخرج الأطباء)

سجناريل لست الآن أعقل مني ساعة حضور الأطباء وعلى كل فأحسن فكرة هي أن أشتري ترياق من الذي يستعمله عامة الشعب .

(يدخل بائع أدوية شعبية)

سجناريل : سيدي أرجوك إعطائي علبة من هذا الدواء وسأدفع لك ثمنه حالا .

البائع وهو يغني :

هل يستطيع إنسان أن يدفع ثمن هذا الدواء ؟

أنا أضمن الشفاء بمجرد استعماله .. دواء لكل داء . .

وتستعمله كما تشاء تستعمله شراباً . وتستعمله غسيلا ..

دواء الأكلان . . .

دواء لوخز الجنوب

دواء الشلل

ومهما كان مرضك فسيعينك هذا الدواء

وأنا أضمن لك

دواء لكل رجل . . وكل امرأة

من يحاول أن يشتري ولو علبة واحدة ؟

دواء لكل داء وراثي

ولا أقول إلا الحقيقة

دواء لكل داء . . تستعمله كما تشاء شراباً أو غسيلا

دواء الأكلان

دواء الشلل . . الخ

سجناريل : سيدي أنا مقتنع بأن كل ذهب العالم لا يكفي لشراء ترياقك ولكن إليك هذه النقود خذها أو اتركها .

المنظر الثالث

د. فليرن : دكتور تومي . دكتور دي فونادري . .

د. فليرن : ألم تخجلوا من تصرفاتكم هذه ؟ . . رجال من مثل سنكم يتشاجرون وكأنهم أطفال . . ألم تعلموا أن هذه المشاجرة تقضي على سمعتكم ؟ . أليس مما يسوء أن يطلع المتعلمون على مثل هذه الاختلافات في الآراء وهي تدب بيننا أنا متأكد أننا إذا لم نأخذ حذرنا فنسيء إلى أنفسنا . . ولست أهتم بنفسي فأنا لا أعتمد على الأحياء . . ومنذ أن قضت العناية الإلهية . . بأن يثق فينا (العجائز) هذه الثقة فلا داعي لإثارة شكوكهم بالمنافسة فيما بيننا . . وهل نحن وحدنا نستغل الضعف البشري فالمنافقون مثلا لديهم فن عجيب يستطيعون أن يستدروا به الأموال ، والكيمائيون لديهم مقدرة على أن يملأوا أذهان الحالمين بالغنى بأطنان من الذهب ، وقارئو البخت يسيرون على نفس الطريقة دعونا نحتفظ باتفاقنا أمام المرضى لنأخذ أتعابنا كاملة إذا شفوا وليلقوا التبعة على الطبيعة إذا ماتوا .

دكتور تومي هذا حق . . ولكن الإنسان كثيراً ما يفلت

منه زمام نفسه

دكتور فليرين – تعالوا إذن نتفق

د. دي فونادري : أنا موافق بشرط ألا يعارض هو في الدواء الذي أعطيته للمريض وأنا بعد الآن لن أعارضه في شيء

د. فليرين : ليس هناك عرض أحسن من هذا

د. دي فونادري : اتفقنا إذن

د. فليرين : لنتصافح

(تدخل ليزيت)

ليزيت : ألا تزالون جالسين ؟ لماذا لا تدافعون عن سمعتكم ؟

د. تومي : ماذا حدث

ليزيت : لقد اعتدى رجل على آخر دون أن يستأذنكم

د. تومي : اسمعي . . تضحكين الآن ولكنك ستقعين في قبضة أيدينا يوماً ما . .

(يخرج الأطباء)

ليزيت : إذا زرتكم في يوم من الأيام فلتفعلوا ما تشاؤون .

يدخل كليتندر مرتدياً زي الأطباء . .

كليتندر – ما رأيك في الآن ؟

ليزيت : أنا منتظرة قدومك فلقد صممت على تخليص ليوسند من والدها مهما كلفني الأمر وسأهبها لك . . لقد سررت بمرآك من أول مرة . . (وعلى فكرة) لدي مقدرة فائقة في الحكم على الشخصيات ولا أظنها ستختار إنساناً غيرك ان الحب يصنع المعجزات . . ولقد دبرنا خطة لتوصلنا إلى غرضنا فاخرج الآن حتى أرجع

إليك . .

(يخرج كليتنلر ويدخل سجناريل)

ليزيت : سيدي لدي أخبار سارة

سجناريل : ما هي

ليزيت : افرح . . افرح

سجناريل : لمـــاذا ؟

ليزيت : افرح وسأخبرك

سجناريل : أخبرني أولا حتى أعرف لماذا أفرح ؟

ليزيت : لا بل يجب أن تفرح أولا .

سجناريل : ولكن لماذا ؟

ليزيت : لأنني سأخبرك

سجناريل : يضحك ويغني بفمه لا لا للا .

ليزيت : سيدي – لقد شفيت ابنتك

سجناريل : شفيت ابنتي ! ! ؟

ليزيت : نعم فلقد عثرت على طبيب حقيقي

سجناريل : أين هو ؟

ليزيت : سأحضره حالا

(تخرج)

سجناريل : سنرى إذا ما كان خيراً من الذين سبقوه

ليزيت : (تدخل) كليتندر ها هو

سجناريل : حقاً ان له ذقن طبيب

ليزيت : ان مهارته لا تتوقف على ذقنه فهو لا يعمل بها
سجناريل : لقد قيل لي انك ماهر وانك . .
كليتندر : سيدي ان طريقي في العلاج تختلف عن غيري من الأطباء فهم يعالجون « بالفصد » والمطهرات والحقن أما أنا فأعالج بالكلمات والخطابات والطلاسم
ليزيت : ألم أقل لك ؟
سجناريل : انه لرجل عظيم
ليزيت : لقد ارتدت ثيابها وسأحضرها الآن
سجناريل : احضريها
كليتندر : يكفي ليسمع دقات قلب سجناريل ، حقاً ان ابنتك مريضة
سجناريل : هل تعني انك تعرف مرضها بسماع قلبي أنا ؟
كليتندر : نعم بواسطة العاطفة المشتركة بين الأب والابن
ليزيت : تدخل معها ليوسند ، ها هي يا سيدي ودعنا نذهب
سجناريل : ولكني اريد أن أبقى
ليزيت : ما هذا . . يجب أن نخرج ان لدى الطبيب مئات من الأسئلة يجب ألا يسمعها الرجال ، تجذبه وتخرج به
كليتندر : هامساً . . أنا سعيد جداً ولا أدري كيف أبدأ حديثي ؟ انني لا أصدق عيني . . هل حقيقة اني اكلمك بحرية كما أشاء ؟ لقد انعقد لساني ان سعادتي لا يمكن وصفها
ليوسند : وأنا مثلك
كليتندر : آه لو أستطيع أن أعتقد أنك تحسين بما أحسه
سجناريل : « إلى ليزيت » لقد دنا منها كثيراً

ليزيت : انه يفحص وجهها وقسماتها
كليتندر : « مخاطباً ليوسند » هل ستظلين ثابتة على شعورك ؟
ليوسند : وهل تفي أنت بوعدك . . ؟
كليتندر : نعم وإلى الأبد
سجناريل : كيف حالها . . يبدو أنها منشرحة
كليتندر : نعم فلقد استعملت أول أنواع العلاج فالعقل دون شك له تأثير على الجسد وغالباً ما يكون هناك مبعث الداء . . ولقد علمتني التجارب أن أبدأ بمعالجة العقول قبل الأجسام لهذا كنت أفحص نظراتها . . وقسماتها . وخطوط راحتيها . . ولقد عرفت أخيراً أن هذا داء عضال منبعث عن رغبة في الزواج وبالطبع ستتحول هذه الرغبة إلى شيء سخيف جداً بعد الزواج
سجناريل : (متنحياً عنه) يا له من رجل ماهر
كليتندر : أنا نفسي لا أحس ولن أحس بشيء أسخف من الزواج
سجناريل : متنحياً عنه ، يا له من طبيب عظيم
كليتندر : ان من الواجب علينا أن نهيىء للمرضى كل ما يسرهم ولقد توصلت إلى طريقة ناجحة . . فأوهمتها بأني إنما جئت لأخطبها منك وفي الحال أشرق وجهها وتغيرت قسماتها وأضاءت عيناها . . وعلى كل فلو شجعتها أنت على هذا الأمل لبضعة أيام فقط فسترى نتائج

عملك هذا .

سجناريل : حسن جداً

كليتندر : بعد هذا يجب علينا أن نجرب دواء آخر لنطرد عن ذهنها هذه الأفكار نهائياً .

سجناريل : شيء جميل والآن يا ابنتي هذا شاب ممتاز يريد أن يتزوجك وليس لدي ما يمنع .

ليوسند : هل هذا ممكن . . ! !

سجناريل : نعم

ليوسند : هل أنت جاد ؟ .

سجناريل : نعم

ليوسند : (لكليتندر) وأنت هل تعتقد ما تقول ؟

كليتندر : نعم يا سيدتي

ليوسند : وهل أنت راض يا أبي ؟

سجناريل : كل الرضا يا عزيزتي

ليوسند : آه كم أكون سعيدة لو أن ما أسمعه حقيقة ؟ !

كليتندر : ليس في ذلك شك وأنا لم ألبس رداء الأطباء إلا لأختفي خلفه . .

ليوسند : هذا دليل على صدق شعورك فشكراً لك .

سجناريل : (متنحياً عنها) يا لك من مغفلة حمقاء .

ليوسند : أبي هل أنت راغب حقيقة في أن تزوجني من هذا الشاب ؟

سجناريل : مدي يديك . . وأنت أيضاً

كليتندر : ولكن يا سيدي

سجناريل : (وهو يضحك) لا لا . . كل هذا لتعود إلى حالتها الطبيعية فقط تصافحا لقد تم كل شيء .

كليتندر : إليك هذا الخاتم كدليل على ما أقول (ثم يهمس في أذن سجناريل) انه طلسم لعلاج العقل .

ليوسند : لنوّقع . إذاً على العقد

كليتندر : (يهمس في أذن سجناريل) سأرسل في طلب إنسان يوقع على العقد وكأنه شخصية رسمية

سجناريل : شيء عظيم

كليتندر : أين المسجل

ليوسند : هل أحضرت معك مسجل عقود ؟

كليتندر : نعم

ليوسند : جميل جداً

سجناريل : (هامساً) يا لك من مغفلة

(يدخل المسجل مع كليتندر)

سجناريل : والآن يا سيدي أكتب لنا عقداً بزواجهما (موجهاً الخطاب إلى ليوسند) ها هو قد كتب العقد (مخاطباً المسجل) لقد منحتها عشرين ألف جنيه لزفافها سجل هذا في العقد .

ليوسند : كم أنا شاكرة لك يا والدي .

المسجل – لقد انتهى كل شيء ولم يبق إلا التوقيع .

سجناريل : سيوقع حالا . .

كليتندر : ولكن يا سيدي

سجناريل : لا لا لقد أخبرتك أني أعرف كل شيء (للمسجل) اعطها القلم (ابنته) وقعي على العقد

ليوسند : لا . . أريد أن أحتفظ به

سجناريل : حسناً (يوقع هو) كم نحن سعداء

ليوسند : أكثر مما تتصور . . ! !

كليتندر : لقد أحضرت بعض الموسيقيين ليحتفلوا بهذه المناسبة (غناء وموسيقى) يختلط الجميع فلا تكاد تميزهم .

سجناريل : يا لها من طريقة جميلة في معالجة المرضى . ولكن أين ابنتي وأين الطبيب ؟

ليزيت : لقد ذهبوا ليتمموا مراسيم الزواج

سجناريل : ماذا تعنين بمراسيم الزواج

ليزيت : لقد نسيت أن أقول لك ان كل ما حدث حقيقة وليس تمثيلا

سجناريل : يا للأشقياء ! ! (يحاول أن يجري خلف العروسين فيمنعه المحتفلون) دعوني أذهب دعوني أفر .

(تمــت)

بائع التبغ

لسومرست موم



بائع التبغ

لسومرست موم

كانت كنيسة القديس بطرس قد قامت بعملية تعميد بعد ظهر ذلك اليوم وكان « البرت ادوارد فورمان » لا يزال مرتدياً ثوب السدانة .. وقد كان يملك من ذلك النوع ثوبين ويحتفظ بالجديد . . من غير ان تمسه يده فبدا وكأنه ليس من جلد حيوان « الباكا » بل وكأنه من البرنز « العتيق » كان يحتفظ به لحفلات الوفاة والزواج . وقد كانت كنيسة القديس بطرس هذه هي الكنيسة المعتبرة عند الطبقة الراقية من الناس بسبب هذه الحفلات .. وكان فورمان السادن مرتدياً ثوبه هذا بزهو . . لأنه كان رمزاً محترماً لعمله .. وعندما يكون دونه بعد أن يخلعه ليذهب إلى بيته مثلا يحس إحساساً خاصاً بأنه غير مرتد ملابس كافية . . وكان ثوبه ذلك مصدر كثير من المتاعب له . . فكان يغسله ويكويه بنفسه وخلال الستة عشر عاماً التي قضاها كسادن للكنيسة .. أصاب نجاحاً كبيراً مع مثل هذا الرداء ولكنه لم يستطع في يوم من الأيام أن يلقي بأحدها . . عندما يبلى . . بل كان يجمعها معاً . . ويربطها بعناية في قطعة من الورق البني . . ويلقيها في الدرج الأدنى من صوان ملابسه .. وفي تلك اللحظة التي نتحدث عنها كان السادن منهمكاً في عمله يضع الغطاء الخشبي على حجر التعميد . . ويسحب كرسياً كان قد أحضر لسيدة مُسنة ضعيفة البدن . وكان ينتظر القسيس بعد أن يخلع ملابسه في الغرفة الخاصة بملابس الحفلات لينظم كل شيء في مكانه ثم يذهب إلى منزله وفي تلك الحال رآهُ ماشياً عبر الممر ثم ركع أمام المذبح العالي . . وخرج إلى الممشى وهو لا يزال مرتدياً مسوحه وأخذ السادن يقول لنفسه . . يا ترى عم يبحث . . ألا يعلم أني أريد أن أتناول الشاي . . وكان ذلك القسيس معيناً حديثاً في تلك الوظيفة . . وكان أحمر الوجه نشيطاً في أوائل

العقد الرابع من عمره وكان البرت ادوارد لا يزال يأسف على سلفه . . فقد كان من المدرسة القديمة يخطب بصوت جهوري . . ويحضر كثيراً من الحفلات الارستقراطية لتناول طعام الغداء . . وكان يحب أن يسير كل شيء في الكنيسة على هذا الوضع . ولم يفقد أعصابه في يوم من الأيام ولم يكن مثل هذا القسيس الجديد الذي يحشر أنفه في كل شيء . . ومع هذا فقد كان البرت ادوارد . . متساهلا معه وقد كانت كنيسة القديس بطرس محاطة بجيران من الطبقة الراقية . . أما القسيس الجديد فقد قدم من المنطقة الشرقية ولم يكن من المتوقع بالنسبة له أن ينسجم مع جيرانه المترفين أو أن يتخذ الطرق الصحيحة معهم .. وكان يقول البرت ادوارد لنفسه . . يجب أن نترك له الوقت الكافي ليتعلم . .

وعندما مر القسيس في الممشى مسافة يستطيع أن يتكلم فيها مع السادن دون أن يرفع صوته أكثر مما يليق في أماكن العبادة . . وقف . . وخاطبه . . فورمان . . أتستطيع أن تأتي إلى مجلس الكنيسة لمدة دقيقة واحدة فلدي بعض المسائل التي أريد أن أتحدث معك فيها . .

– بكل سرور يا سيدي . .

وانتظر القسيس حتى قدم البرت ثم سارا معاً متجهين إلى المجلس . . وبدأ السادن يتحدث مرة أخرى . .

– يا له من تعميد لطيف . . لقد سكت الطفل وكف عن البكاء . . في اللحظة التي تناولته فيها . . فرد عليه القسيس وهو يبتسم بقوله . .

– لقد لاحظت أن الأطفال كثيراً ما يبكون في هذه المواقف . . وعلى كل فلدي طريقة عملية أستخدمها معهم . . وقد كان من مصادر فخره أنه كان يستطيع تقريباً في كل مرة أن يهدىء أي طفل وهو ينشج بطريقته الخاصة في الإمساك به ولم يكن جاهلا بامارات الدهشة المرحة التي كانت تكسو وجوه الأمهات والحاضنات وهن يلاحظنه وهو يضع الطفل

في كمه وقد علم السادن أن مما يرضي القسيس أن تشيد دائماً بعبقريته ..

وتقدم القسيس البرت ادوارد إلى داخل الغرفة . . وقد أحس البرت بدهشة طفيفة وهو يرى وكيلي الكنيسة هناك . . فلم يرهما من قبل دخولهما .. وقد انحنيا له انحناءة لطيفة فرد عليها محيياً للواحد تلو الآخر . . مساء الخير .. سيدي . . مساء الخير . . سيدي وكان وكيلا الكنيسة هذان طاعنين في السن وقد قاما بوكالة الكنيسة في المدة الطويلة التي كان فيها البرت سادناً . . وقد كانا جالسين على مائدة طعام أنيقة ، كان القسيس القديم قد أحضرها منذ سنين عديدة من إيطاليا . . وجلس القسيس على الكرسي الخالي بينهما . . وكان أمامهما البرت ادوارد ، وقفت المائدة حائلا بينه وبينهم . . وعلت قسمات وجهه أمارات من الدهشة عماذا يكون الأمر . . فهو لا يزال يذكر المناسبة التي وقع فيها عازف الأرغن في مشكلة وتلك المضايقات التي لحقتهم جميعاً قبل أن يستتب الوضع . . وكان وجه القسيس ينم عن الرأفة ولكن الآخرين كان وجههما مكتسي نظرة متضايقة . . وأخذ السادن يقول لنفسه لا بد أنه قد ضايقهم شيء ما . . أو أنه احتال عليهم ليقوموا بعمل ما ولكنهم لا يرغبون فيه ولكن أفكاره هذه لم تبد على وجهه الخالي من كل تعبير وقد وقف باحترام دون أن تبدو عليه أمارات الخضوع فقد كان في الخدمة قبل أن يدخلوا في سلك الكهنوت ولكن لدى كثير من الأسر الراقية دون أن تمس سيرته .. وقد ابتدأ عمله كخادم في بيت أحد التجار وترقي بمقدرته من خادم في الدرجة الرابعة إلى خادم من الدرجة الأولى وقد ظل طيلة عام الساقي الوحيد لإحدى الأميرات الأرامل . . وقبل أن تحل المدة التي اشتغل فيها في الكنيسة كان يشتغل ساقياً ومعه اثنان آخران

يأتمران بأمره في بيت أحد السّفراء المتقاعدين وقد كان طويل القامة نحيل الجسم . . رزيناً . . وكان يبدو ان لم يكن كأحد الأمراء فهو على الأقل كأحد الممثلين القدامى الذين تخصصوا في تمثيل أدوار الأمراء . . وكان حصيفاً حازماً شديد الثقة بنفسه . . عف الثياب طاهر النفس . .

وقد بدأ القسيس بخفة قوله . . فورمان . . ان لدينا بعض الأخبار الغير سارة لنقولها لك فلقد قضيت هنا عدداً من السنين وأظن أن سيادتهما أيضاً يتفقان معي على أنك قد قمت بواجب الوظيفة . . خير قيام فأرضيت كل من يهمه الأمر . . فأخذ وكيلا الكنيسة يشيران برأسيهما علامة للموافقة .

– لكن بعض الأشياء غير الطبيعية وصلت إلي . . وقد أحسست أن من واجبي أن أنقلها إلى وكيلي الكنيسة . . فقد اكتشفت مندهشاً أنك لا تستطيع أن تقرأ أو تكتب ولم تبد على وجه السادن أي أمارة من أمارات الضيق بل أجابه بقوله . . ان القسيس السابق يعرف ذلك وقد ذكر لي أن ذلك لا يؤثر في موقفي . . وكان يردد دائماً أن في الدنيا قدراً كافياً من العلم . . وهنا صاح الجنرال بقوله . . انني لم أسمع بشيء أغرب من هذا قبل الآن . . فهل تعني أنك ظللت سادناً لهذه الكنيسة طيلة ستة عشر عاماً دون أن تعرف شيئاً عن القراءة والكتابة ؟

– لقد بدأت أعمل وأنا ابن اثني عشر عاماً وقد حاول الطاهي أن يعلمني مرة ولكن لم يكن لي مزاج في ذلك . . وعلاوة على هذا فلم أكن أملك دائماً الوقت لذلك والحقيقة أنني لم أحس برغبة في التعليم مطلقاً . . وأظنني محقاً إذا قلت ان كثيراً من الشبان يضيعون جل وقتهم في القراءة بينما كان في استطاعتهم أن يقوموا بعمل آخر أكثر فائدة . . وهنا ابتدأ الوكيل الآخر يتحدث . .

– ولكن ألا تريد أن تطلع على الحوادث والأخبار مثلا . . أو أن

تكتب خطاباً إلى قريب أو صديق . .

– لا يا سيدي . . لقد نظمت حياتي دون حاجة إلى ذلك . . وفي السنوات الأخيرة أصبحوا ينشرون كثيراً من الصور في الصحف وبذلك أتتبع ما يحدث بوضوح . . وزوجتي مثقفة أيضاً فإذا ما أردت كتابة خطاب تقوم بذلك نيابة عني . ولم ينته من كلامه حتى حملق الوكيلان في القسيس بنظرة ذات معنى . . ثم نقلا ناظريهما إلى المنضدة المنبسطة أمامهما فقال :

– حسناً . . لقد تدارست الأمر مع هذين السيدين وقد وافقاني على أن سير الوضع هكذا مستحيل ففي كنيسة مثل كنيسة القديس بطرس لا تستطيع أن تحتفظ بسادن أمي لا يقرأ أو يكتب . . فاحمر وجه البرت النحيف الشاحب وتململ بضيق في مكانه دون أن يجيب . .

– أفهمت . . ليس لدي شكوى ضدك فأنت تؤدي عملك على خير وجه . . ولدي فكرة حسنة عن شخصيتك وعن مقدرتك . . ولكنا لا نستطيع أن نقوم بمجازفة وتحمل نتائج ما يمكن أن يحدث بسبب جهلك المفجع هذا . . انها مسألة عقل كما هي مسألة مبدأ . .

فسأله الجنرال . . .

– ألا تستطيع أن تتعلم

– لا يا سيدي اني أخشى الا أستطيع . . فأنت تـرى أنني لست شاباً صغير السن . . حتى أتمكن أن أعي حروف الهجاء . .

– اننا لا نريد أن نقسو عليه . . ولكني أنا ووكيلي الكنيسة قد فكرنا ملياً في الأمر . . وسنعطيك ثلاثة أشهر فإذا انقضت دون أن تستطيع القراءة أو الكتابة فأخشى أنك ستضطر إلى ترك العمل . .

وأما عن البرت فلم يجب القسيس الجديد وقد قال منذ أول الأمر أنهم قد ارتكبوا خطأً كبيراً عندما أسندوا إليه أمر كنيسة القديس بطرس فهو ليس الإنسان الذي يستطيع أن يعيش في مثل هذا المستوى وكان يعرف قيمته فلم يرد أن يعرض نفسه لأية إهانة . .

– انني آسف جداً يا سيدي فأنا رجل طاعن في السن لا أستطيع أن أتعلم أي شيء جديد فقد أمضيت سنين طويلة من عمري دون أن أعرف القراءة أو الكتابة بل ودون أن أرغب فيها ولو حق لي أن أمدح نفسي لقلت انني أديت واجبي في هذه الحياة كأحسن ما يمكن أن يؤديه إنسان ولو تعلمت الآن لا أدري هل أستطيع أن أعمل أكثر من ذلك أم لا

– في هذه الحالة إذاً أخشى أن يكون عليك أن تغادر العمل . .

– نعم يا سيدي لقد فهمت ذلك وسأكون سعيداً به وعندما تجدون إنساناً يحل محلي سأقدم لكم استقالتي . لكن عندما أغلق البرت ادوارد بأدبه المعهود باب الكنيسة خلفهم لم يستطع أن يفكر في هذه الضربة التي وجهت له فأخذت شفتاه ترتعدان ثم سار ببطيء عائداً إلى مجلس الكنيسة وألقى بثوب السدانة وأخذ يستعرض مواكب الجنائز العظيمة وحفلات الزفاف الراقية التي شهدها ثم نظم أموره وارتدى معطفه وأخذ قبعته في يده ومشى وأغلق باب الكنيسة خلفه ثم أخذ يتردد في الميدان ولفرط حزنه العميق لم يسر في الشارع الذي يوصله إلى البيت حيث ينتظره هناك قدح من الشاي ثقيل ولكنه سار في الطريق الآخر وسار ببطيء وقلبه مثقل بالأحزان فلم يستطع أن يعرف ماذا يعمل بنفسه فلم يكن يتصور فكرة العودة إلى حياة الخدمة بعد أن كان سيد نفسه طيلة هذه السنين . .

وكان قد وفر لنفسه شيئاً من المال ولكنه ليس كافياً لأن يعيش به دون أن يعمل شيئاً ولا سيما أن تكاليف الحياة بدأت تزداد يوماً بعد يوم

ثم هو لم يخطر على ذهنه قط أنه سيعترض طريقه مثل هذه المشاكل فسدنة كنيسة القديس بطرس مثل بابوات روما يظلون في منصبهم مدى الحياة وقد كان يتصور دائماً الحفاوة الكبيرة التي سيقيمها القسيس له في أول أحد يعقب وفاته تقديراً له ولخدماته الطويلة ولشخصيته المثالية .

لم يكن البرت ادوارد من هواة التدخين بل كان كزاً أغلب أحواله وإن كان يشتاق في بعض الأحايين إلى كأس من الجعة مع غداءه أو سيجارة واحدة عندما يكون متعباً وكان يحس أن مما يريحه في تلك اللحظة أن يتعاطى أحدهما ولما كان لا يحمل معه شيئاً من ذلك عرج على أحد المحلات ليشتري علبة من التبغ فلم ير أثراً لدكان ولما كان الشارع طويلا فقد أخذ يتفقد كل محل على حدةإلا أنه لم يعثر على بائع سجائر فأخذ يقول لنفسه يا له من أمر غريب . . وليتأكد من الأمر أخذ يمشي إلى يمين الشارع مرة وإلى يساره مرة أخرى حتى قطع كل أمل في ذلك فأخذ يفكر ويقول لنفسه لست بالتأكيد أنا الرجل الوحيد الذي ذرع الشارع دون أن يحصل على سجائر فما الذي يحدث لو أنني افتتحت محلا صغيراً للسجائر والحلوى. ثم أردف يقول لنفسه وهو يقفز من الفرح يا لها من فكرة وما أغرب أن تحدث الأمور بينما يكون المرء غير متوقع لها ثم عاد أدراجه وسار إلى البيت يتناول الشاي هناك فلاحظت عليه زوجته بقولها انك صامت في هذا اليوم فأجابها بقوله انني أفكر وأخذ يقلب الأمر من جميع وجهات النظر وفي اليوم الثاني ذهب إلى الشارع نفسه ومن حسن الحظ أنه رأى دكاناً صغيراً كأنما وجد له هو خصيصاً ولم تمض أربع وعشرون ساعة حتى كان قد استأجره وبعد مرور شهر واحد ترك الكنيسة إلى الأبد وبدأ يعمل كبائع سجائر وصحف يومية وكانت

زوجته تقول له يا له من تدهور شنيع فبعد أن تكون سادناً لكنيسة القديس بطرس تصير إلى هذا الوضع ، ولكنه كان يرد عليها بقوله انه يجب على المرء أن يتحرك مع الزمن فالكنيسة لم تعد كما كانت وعلى ذلك فعليه أن يؤدي لقيصر ما لقيصر وأخذ يسعى في عمله بجد . . وفي خلال عام واحد افتتح دكاناً آخر وعين وكيلا له فيه ثم أخذ يبحث عن شارع آخر طويل خال من بائع سجائر وعندما يجده يستأجر فيه محلا لبيع السجائر ونجح هذا الدكان الجديد . . عند ذلك قال لنفسه إذا أمكن نجاح دكانين ليس بمستبعد نجاح ستة ، وهكذا أخذ يسير في شوارع لندن وعندما يجد شارعاً طويلا ليس فيه بائع سجائر يفتتح دكاناً هناك وفي خلال عشر سنين أصبح يملك لا أقل من عشرة دكاكين تدر عليه كثيراً من الربح وكان يدور عليها بنفسه في كل يوم اثنين يجمع الدخل ويودعه في البنك . . وفي أحد الأيام عندما كان يودع إلى الخازن رزمة من الأوراق وحقيبة ملأى بالفضة أخبره ذلك أن المدير يريد أن يراه ثم اقتيد إلى المكتب فصافحه المدير قائلا أريد أن أتحدث معك يا سيد فورمان بخصوص النقود التي تودعها عندنا أتعلم كم هي . . ؟ لقد بلغ مادفعته حتي اليوم في هذا الصباح أكثر من ثلاثين ألف جنيه وهو مبلغ كبير جداً ولا ينبغي لك أن تودعه في أي بنك وأعتقد أن من الأفضل لك أن تستثمره

— انني لا أريد أن أتحمل أية مضايقات جديدة وكل ما يهمني أن المبلغ محفوظ في البنك . .

— ليس هناك داع لأن تتحمل أية مضايقات وسنقدم لك كل الضمانات الكافية . . وهنا علت وجه فورمان . . آثار من الحيرة والقلق وقال لم أحب قبل الآن التعامل بالسندات المالية والأسهم وكل ما سأعمله أن أترك المبلغ في يدك فضحك المدير وهو يقول : سنعمل كل شيء من أجلك وكل ما

ستتحمله هو أن تأتي إلينا مرة لتوقع أوراق التحويل فأجابه ـ البرت ـ ان باستطاعتي أن أقوم بذلك ولكن كيف لي أن أعرف حقيقة ما سأوقع عليه . . فاحتد المدير قليلا وهو يقول : أظن أنك تجيد القراءة فرد عليه فورمان بابتسامة بسيطة . ـ

ـ حسناً يا سيدي ان حقيقة الأمر هي أنني لا أستطيع أن أقرأ وقد يكون هذا مضحكاً ولكنه الواقع فأنا لا أقرأ أو أكتب إلا اسمي وقد تعلمت كتابته عندما انخرطت في سلك العمل فدهش المدير لدرجة أنه قفز من مقعده وصاح ان هذا أغرب ما سمعت في حياتي ـ

ـ انه الواقع فلم أجد فرصة في حياتي لأتعلم فثار في وجهه مرة أخرى كأنه وحش من عصور ما قبل التاريخ . .

ـ هل تقصد أن تقول انك بنيت هذا العمل وجمعت هذه الثروة التي تقدر بثلاثين ألف جنيه دون أن تكون قادراً على القراءة والكتابة . . يا إلهي ماذا إذا كنت ستصبح لو كنت قادراً عليهما ..!؟ فعلت قسمات وجه فورمان الارستقراطية ابتسامة وهو يقول أستطيع أن أقول لك عن ماذا كنت سأصبح . .

ـ كنت سأصبح سادناً لكنيسة القديس بطرس . .

Twitter: @brahemGH

منزل لليلة واحدة

من أساطير الصين



عندما كان الجنرال العظيم (لي تسنج) رجلا مغموراً في صدر شبابه اعتاد أن يرتاد جبال « هيو » ليصطاد فيها حتى أصبح ظهوره بين القرويين في تلك المنطقة أمراً عادياً للغاية وقد كان (لي) هذا فتى مديد القامة رشيقاً حلو العشرة فأحبه كل من التقى به . . وكان غالباً ما يقف أثناء رحلاته الصيدية تلك في إحدى القرى ليتناول غذاءه أو عشاءه وكان شماس تلك القرية هو الذي يمده بالطعام ويهييء له مأوى عندما يتأخر في بعض الليالي ولا يستطيع العودة إلى المدينة وكان ذلك الشماس رجلا طيباً للغاية فهو لا يقبل منه مقابل إيوائه في تلك الليالي . ولهذا أصبحا صديقين حميمين . .

وفي أحد الأيام رأى (لي) قطيعاً من الغزلان فاقتفى أثرهم إذ كان فارساً ممتازاً وأسرع تقله تلال لتضعه في وهاد وكان في بعض الأحايين يتتبع آثار الماعز إلى قمم التلال آملا أن يرى القطيع مرة أخرى ولكن . . القطيع خدعه نهائياً وفر . . وأحس أنه يرى شيئاً يتحرك على بعد خمسمائة باردة . . فأخذ يعبر قمة بعد قمة حتى وصل إلى نقطة لم يعرف فيها أين مقامه وقد بلغ به الاعياء والضيق غايته . . فحاول أن يجد طريقه مرة أخرى ولكن الأرض التي وصل إليها كانت غريبة عنه . . وفجأة تألق وجهه بشراً لأنه لمح نوراً يسطع على أحد الجبال التي خلفه فقدر أنه سيصلها بعد نصف ساعة وأدار عنان فرسه وسار تجاه النور آملا أن يجد مأوى له يقضي فيه ليلته تلك . . وعندما وصل إلى ذلك النور وجد نفسه أمام قصر محاط بجدار أبيض عال ذي بوابة حمراء ، فطرقه وانتظر . . وبعد مدة من الزمن فتح له الباب خادم سأله عن رغبته . . فأخبره (لي) بأنه كان قد خرج للصيد فضل طريقه ورجاه أن يضيفه تلك الليلة فأجابه الخادم بقوله . . أخشى أن

يكون ذلك مستحيلا ، لأن أصحاب المنزل ليسوا موجودين الآن وليس به إلا سيدته . فرجاه مرة أخرى أن يخاطب سيدته في أمر دخوله فعاد الخادم إلى داخل المنزل ورجع مسرعاً وهو يقول تفضل . . لقد كانت سيدتي غير راغبة في ذلك ولكنها عندما سمعت أنك ضللت طريقك سمحت لك بالدخول . . وستعطيك إحدى الغرف لتقضي فيها ليلتك و . . و هكذا اقتيد (لي) إلى قاعة رحبة حسنة الأثاث مليئة بالأضواء بها كثير من اللوحات المعلقة على الحائط وفجأة ظهرت إحدى الوصيفات تعلن عن قدوم سيدتها . . ثم قدمت السيدة فكانت مهيبة قد تخطت الخمسين من عمرها بسيطة في ملابسها السوداء وقد لاحظ (لي) أن ما ترتديه من أفخم الثياب . . فحنى رأسه إجلالا لها واعتذر برقة عن اقتحامه المنزل عليهن بالليل . وبدأت السيدة تتحدث بهدوء واتزان قائلة : ان أولادي متغيبون في هذه الليلة وكان من الطبيعي ألا أدع أحداً من الضيوف يدخل علي . . ولكنك عندما فقدت طريقك في هذه الليلة المظلمة لم أستطع أن أردك خائباً .. وكانت تتحدث بلهجة أم رؤوم منحدرة من عائلة كريمة . . ثم قدم له شيء بسيط من العشاء الممتاز . . يحتوي في أغلبه على السمك . . وبدأ يأكل بملاعق من العاج في أوان بلورية . . وبعد العشاء اعتذرت السيدة مودعة له وهي تقول . . لا بد أنك متعب وتريد أن ترتاح وسترى وصيفاتي ما إذا كنت محتاجاً إلى شيء . . وانتصب (لي) ليشكرها وليلقي عليها تحية المساء . . فردت عليه بدورها وأضافت قولها . . « لا بد أن بعض الجلبة ستحدث بالليل وأرجو أن لا تزعجك . . وبدت على وجه (لي) علامات الدهشة من أمر السيدة وأمر الجلبة التي ستحدث بالليل وقد لاحظت هي ذلك فأخذت توضح له الأمر . . قائلة : —

— إن أبنائي غالباً ما يعودون في منتصف الليل . . وربما يحدثون شيئاً

من الجلبة عند عودتهم فأردت أن أخبرك بذلك حتى لا تنزعج . . فأجابها بقوله : لا . . لن أخاف .

وكان بوده أن يسألها عن أبنائها . . وعن أعمارهم . . وكيف يحدثون الضجة في منتصف الليل . . ولكنه فضل ألا يتدخل فيما لايعنيه . وفي الحال أحضرت اثنتان من خادماتها غطاء السرير وأرادتا أن تهيئاه له . . ولكنهما عندما رأتا أنه مستعد للقيام بكل ما يحتاج إليه . . عادتا من حيث أتيتا وأغلقتا الباب خلفهما . .

وقد كان السرير الذي استلقى عليه مريحاً دافئاً . . وكان هو قد قضى يومه يقتفي أثر الغزلان فكان مستعداً لأن يسلم نفسه للنوم عند أول لحظة ولكن أفكاراً كثيرة ظلت تلح عليه . . ما شأن هؤلاء القوم الذين نزل بهم ؟ والذين يعيشون بعيدين عن الناس ضاربين في أرض الله الواسعة وهم علاوة على ذلك يعملون بالليل . . وهكذا ظلت هذه الأفكار تثقل رأسه بالرغم من استرخاء عضلاته واستعداده للنوم .

وكان في وضعه ذاك أشبه بصياد ينسل إلى فريسته . . وتتسع أذناه لكل خطوة تخطي بجانبه فكان مشتاقاً إلى أن يعرف ماذا يحدث عند منتصف الليل .. وعندما أزفت تلك الساعة سمع طرقاً قوياً على الباب فزع له وفي نفس اللحظة سمع صرير الباب الجانبي وصوت الخادم يتحدث في همس مع بعض الأشخاص ثم سمع وقع أقدام الخادم وهو يتقدم إلى قاعة الاستقبال وسمع أيضاً صوت السيدة وهي خارجة تسأل عن القادم فأخبرها بأنه أحضر طومارا وذكر له أنه مستعجل جداً . .

— لقد أمر سيدي أن ينزل شيئاً من المطر في هذه المنطقة لبعد سبعة

أميال حول الجبال وأن يوقف هبوطها قبل مطلع الفجر ، كما أنه حذر من كثرة المطر حتى لا تغرق المحاصيل . .واضطرب صوت السيدة وهي تقول له . .

ماذا أستطيع أن أفعل ان ابني ليسا هنا وقد تأخر الوقت فلا أستطيع أن أرسل لهما . . وكذلك لا أستطيع أن أكلف غيرهما . . فاقترحت الوصيفة عليها أن تسأل الضيف قضاء هذه الحاجة قائلة إنه . . شاب قوي البنية صياد ، يجيد ركوب الخيل فسرت السيدة بالاقتراح وذهبت تطرق باب (لي)

– أأنت مستيقظ ؟؟!

– ماذا أستطيع أن أقدم لك يا سيدتي ؟!

– رجائي أن تخرج من غرفتك فإن لدى بعض المسائل التي سأتحدث عنها معك . . وقفز (لي) من سريره بسرعة وخرج إلى قاعة الاستقبال فبدأت السيدة تشرح له قائلة . . ان هذا ليس منزلا عادياً فلقد نزلت ببرج الحوت وقد تلقيت أنا الآن رسالة فيها أمر بأن أنزل مطراً في هذه اللحظة ليمتد حتى الفجر . . وليس لدى إنسان أرسله فابني الأكبر في مكان ناء يحضر حفلة زفاف في البحر الشرقي وابني الآخر اصطحب شقيقته الصغرى في رحلة قصيرة وبيننا وبينهم آلاف الأميال . . وليس هناك وقت حتى أرسل لهم رسالة فهل تتكرم بأن تقوم بهذا العمل بدلا منهم . . وسيعاقب أبنائي إذا لم يطيعوا هذه الأوامر . . واستغرب (لي) مثل هذا الطلب فقال لها سأكون سعيداً يا سيدتي بأن أقدم لك أية معونة تريدينها ولكن طلبك هذا فوق طاقتي واحتمالي . . وأظن أن من المفروض أن يطير الإنسان فوق السحاب حتى يستطيع أن ينزل المطر

– يبدو أنك ماهر في ركوب الخيل . .

— بالتأكيد

— في ذلك الكفاية . . وكل ما تحتاج إليه هو أن تمتطي صهوة الجواد الذي سأعطيك إياه وبالطبع ليس لك أنت ، ولكن لتقضى عليه المهمة التي سأرسلك لها ثم تتبع ما آمرك به وسيكون بسيطاً جداً

ثم أمرت بإحضار حصان أسود العرف مسرج . . ثم أعطت (لي) زجاجة صغيرة تحوي مادة المطر . . ليدليها من أمام السرج . . قائلة له انه جواد سماوي . . ويجب عليك أن تمسك بحقوبه بخفة . . وتدعه يسير كما يشاء ولا تحاول أن تسوقه ليسرع . فهو يعرف طريقه وعندما تراه يرخي حوافره . . خذ هذه الزجاجة ورش نقطة واحدة منها على عرفه . . وكن حذراً ولا تلق أكثر من نقطة واحدة .

وهكذا امتطى (لي) ذلك الجواد الغريب وأقلع به . . ولكم كانت دهشته . . من ثبات الحصان وسرعته في نفس الوقت . . وفي الحال أسرع قليلا ولكنه وقف لمدة قصيرة وأحس (لي) أنه يتسلق ثم نظر حوله فرأي نفسه ممتطياً السحاب . . والدنيا كلها تحته . . وهبت رياح باردة مشبعة بالرطوبة على وجهه ومن أسفل منه أخذ الرعد يقصف والبرق يلمع في الأفق . . وتنفيذاً للتعليمات التي أعطيت له . . ذر نقطة واحدة من الماء الذي معه عندما وقف الحصان وبدأ يحفر برجله . . وبعد مدة وجيزة رأى من خلاله فرجة ظهرت بين السحاب وعلى ضوء البرق اللامع في الفضاء رأى القرية التي اعتاد أن يقف منها بالمساء فأخذ يقول لنفسه لكم ضايقت ذلك الشيخ العجوز وسكان تلك القرية ولكم اشتاق الآن إلى أن أرد إليهم بعض الجميل . . وها أنذا الآن لي القدرة على منح المطر . . وبالأمس رأيت محاصيلهم جافة في

الحقول وأوراق أشجارهم صفراء يابسة فلا أقل من أن أغدق عليهم شيئاً من ماء الحياة . . وهكذا نثر عشرين نقطة على تلك القرية . . وأحس بسعادة عظيمة وهو يرى الماء ينهمر . . وعندما انقضى كل شيء عاد إلى المنزل الذي خرج منه فوجد مضيفته تبكي وهي جالسة على كرسي في غرفة الاستقبال فلما رأته أخذت تصيح به :

ــ ما هذه الغلطة الفظيعة التي ارتكبتها . لقد أخبرتك بأن تلقي قطر واحدة من ذلك الماء وما أظن إلا أنك قد نثرت نصف ما في الزجاجة ألم تعلم أن نقطة واحدة من ذلك السائل تعني مقدار قدم من الماء على سطح الأرض . . فكم نقطة نثرت عليهم ؟.. وأحس .. (لي) .. بحسرة وهو يقول عشرين نقطة فقط . .

عشرين فقط !! هل تستطيع أن تتصور قرية يغرقها الماء إلى عشرين نقطة في ليلة واحدة سيغرق حتماً كل الناس وقطعان الماشية وسيؤخذ أبنائي بجريرة عملك هذا وأحس لي بالخجل من نفسه ولم يعرف ماذا يقول لها سوى أن يعتذر ولكن اعتذاره هذا أتى بعد فوات الأوان

ــ أنا لا ألومك فأنت لا تعرف حقيقة الأمر . . ولكني خائفة عليك فلن يكون من حسن طالعك البقاء هنا . وعلى هذا فأنا أنصحك بالخروج حالا وتأثر لي . . بلطف السيدة وأعد نفسه للخروج . . في تلك اللحظة التي بدأ الصبح فيها يتنفس وكان سعيداً لأنه استطاع أن يخرج بسهولة من هذا المأزق وكم كانت دهشته عندما رأى السيدة تقول له وهو يهم بالخروج لابد أن أعوضك عن ما أصابك من المضايقات..ولقد كان من الواجب ألا أسأل ضيفاً أن يخرج في منتصف الليلة . . لقد كانت غلطتي ولكنني لا أملكَ شيئاً من الهدايا الثمينة حتى أعطيها لك . . ولكني أستطيع أن أمدك بخادمين وفي استطاعتك أن تأخذ أحدهما أو كليهما كما تشاء . .

ونظر « لي » إلى الخادمين الواقفين بجانب السيدة فكان الواقف جهة الشرق لطيفاً رحيماً . . والواقف إلى الغرب قوياً مفترل الساعد وتبدو على وجهه علامات الصرامة وفكر (لي) في أنه في حاجة إلى خادم بجانب أنه كان يريد أن يحتفظ بذكرى هذه الليلة الغريبة . فقال سآخذ أحدهما فأجابته بقولها . . كما تشاء فاختر أحدهما . . وتوقف (لي) قليلا وأخذ يحدق في الخادمين ويقول لنفسه إن هذا الوديع يبدو أنه ذكي وحبيب إلى النفس ولكني لا أتوقع أن يكون رفيقاً مجدياً في رحلات الصيد . . وعلى هذا فسأختار القوي ذا النظر القاسي . . ثم شكر السيدة و غادر المنزل وعندما أدار عينه لينظر إليه مرة أخرى وجده قد اختفى وعندما التفت إلى الخادم ليسأله وجده قد اختفى أيضاً فاتخذ طريقه وحيداً وعندما وصل إلى تلك القرية وجد فيضاناً عارماً غطى كل شيء . . ما عدا رؤوس الأشجار . . وهلك من جراء ذلك كل سكان القرية . .

ودار الزمن دورته وأصبح « لي » جنرالا عظيماً يقود الجيوش المظفرة . . ولكن في خلال خدمته الطويلة لامبراطور عصره . . الذي كان صديقه لم يصبح رئيساً للحكومة المدنية لأنه لم يختر ذلك الخادم الوديع . . لقد كانت حكمة شائعة في ذلك الوقت . . أن عظام القواد يفدون من ناحية الغرب وأما عظام رؤساء الحكومات فيردون من الشرق . . وأخيراً لربما كان موقف الخادمين هذا موقفاً رمزياً ولو اختارهما « لي » لأصبح رئيساً للحكومة في زمن السلم كما هو رئيسها في وقت الشدة ؟

* * *

ذئب تشانج شان

من أساطير الصين

دياب

ذئب تشانج شان
من أساطير الصين

في يوم من الأيام خرج « بارون شاو » تصحبه ضجة كبيرة ليصطادوا في جبال تشانج شان وكان برفقته عدد من كلاب الصيد ومجموعة من مهرة الصيادين . . مسلحة بالرماح والسهام يحمل بعضها فريقاً من الصقور المدربة . . فرأى البارون في أثناء سيره ذئباً واقفاً على بعد بضعة أمتار عن يمين الطريق . . وقد كان الغريب في موقفه ذلك أنه كان مقعياً على مؤخرة قدميه . . وهو يعوي كأنما يريد أن يجذب إليه الأنظار . . وهكذا قدم نفسه هدفاً مستساغاً . . ولم يطل البارون التفكير فقد قذفه بسهم جرحه . . ولكنه مع هذا تمكن أن يلوذ بالفرار . . فبدأت المطاردة وأخذت جماعات الصيادين . . والكلاب . . تتجاوب صيحاتها في جنبات الغابة . . وارتفع كثير من الغبار سد الأفق . . وساعد الذئب في نفس الوقت على الفرار . .

في هذه اللحظة كان السيد « تانفو » متخذاً طريقه إلى تشانج شان ممتطياً حماراً هزيلا يحمل حقيبة واحدة فيها كتبه وقليل من الملابس . . وكان السيد تانفو هذا أحد « الموتزيين » أو بمعنى آخر أتباع « موتز » الذين كانوا يكونون طائفة متدينة تحيا حياة قاسية مليئة بالتضحية والاخلاص في خدمة الخير وقد كانوا يسيرون متنقلين ليعظوا الناس بإنجيل الحب العالي . . محاولين أن يكسبوا إلى صفوفهم الملوك والارستقراطيين . . بله عامة الشعب وقد أسلموا نفوسهم إلى حياة المسغبة مقدمين أرواحهم ليحموا بها الغير ويصيروهم سعداء . .

سمع (تانفو) هذه الجلبة ورأى الذئب الجريح يندفع في اتجاهه وخلفه جماعة الصيادين وعندما رآه الذئب بدأ يعوي ويتوسل طالباً منه العون . .

فتحرك قلب تانفو لمنظر السهم المثبت في ظهره وقال له . . لا تخف فسأنزع السهم منك . . فأجابه الذئب بقوله آه . . إنك موتزي . . يا لك من رجل نبيل . . إنهم يقتفون أثري . . دعني أختبئ في حقيبتك ريثما تنتهي المطاردة . . وسأكون لك شاكراً مدى الحياة إذا أنقذت حياتي . .

ـ يا لك من ذئب مسكين . لماذا أوقعت نفسك في هذه المشكلة . . إنك تحتاج إلى شيء من العقل . . على كل . . توجه إلى حقيبتي بسرعة ولا تتحدث عن الشكر . . فأنا سعيد بأن أعمل ما أستطيع عمله من أجلك . .

وعند ذلك بدأ « الموتزي » في إخراج متاعه من الحقيبة ووضع الذئب بداخلها . . ولكن الذئب كان ضخماً والحقيبة صغيرة فعندما يلج منها رأسه كان مؤخر قدميه وذيله الكث يظلان خارجها وعندما كان يدخل ذيله في أول الأمر كان لا يستطيع أن يدخل فكيه ورأسه دون أن ينكسر عنقه . . وقد حاول مراراً . . وعلى كل وضع محتمل ولكن دون جدوى . . فأخذ يصيح أسرع أسرع . . لقد دنوا منا أسرع واربطني . . ثم استلقى على الأرض وأخذ الرجل يربط جسمه وقدميه معاً . . وأخيراً وبعد أن عصره عصراً شديداً نجح في وضعه داخل الحقيبة ومن ثم على ظهر الحمار . . ولكم كانت خيبته عندما رأى نقطاً من الدم تقطر من الحقيبة وعلاوة على هذا فقد ترك الذئب آثاراً مضمخة بالدم . . كما كانت يدا « تانفو » ملوثتين . . وبأسرع ما يمكن غطى « الموتزي » الآثار وأدار الحمار حتى أصبحت الحقيبة أقل ظهوراً . . وعندما قدمت الجماعة سأله البارون عما إذا كان قد رأى ذئباً فأجابه بقوله : لا . . وكان هادئاً كأنما الأمر لا يهمه في شيء ثم أردف قوله : ان الذئب حيوان ماكر ولا يعقل أن يأتي إلى الطريق العام وربما اختبأ في هذه الغابة الكبيرة فحدق فيه البارون .. وهو يضرب على سيفه بيده قائلا : إذا ما حاول أي إنسان مساعدة الذئب

على الهرب فسيدفع مقابل ذلك . . فامتطى تانفو حماره بهدوء وودع البارون وهو يقول : إذا ما رأيته في أي مكان فسأخبرك . . . و . . . وأتمنى لك حظاً سعيداً . . وعندما سمع الذئب أصوات أقدام الصيادين قد ذابت في الفضاء أخذ يصيح من داخل الحقيبة . . دعني أخرج بسرعة . . دعني . . وإلا اختنقت . . فترجل الموتزي وساعد الذئب على الخروج من الحقيبة . . ثم حل عقاله ولمس الجرح برقة وهو يقول : ألا يزال يؤلمك . . إنني أشاركك ألمك !

– لا . . ما هو إلا جرح بسيط . . والآن . . لقد أنقذت حياتي فهل يمكنك أن تصنع لي جميلا آخر

– سأكون سعيداً بأن أقدم لك شيئاً في حدود استطاعتي . . فنحن موتزيون كما تعلم . . ونعتقد بأن إنجيل الحب سينقذ العالم . . فماذا تريد مني أن أصنع لك فأنا في خدمتك

– حسناً أنا جائع . . قال هذا وهو ينظر إليه بطرف خفي

– وماذا تريد مني . .

– إنك تستطيع دون شك إنقاذي فأنا منذ ثلاثة أيام لم أذق طعاماً . . ولو مت في هذه الليلة سيكون إنقاذك لي من الصيادين عبثاً . . لماذا لا تدعني آكلك ؟! إنها تضحية بسيطة بالنفس . . ولم أسألك الكثير . . أليس كذلك . . فأخذ الرعب من تانفو كل مأخذ عندما بدأ الذئب يكشر عن أنيابه . . ويستعد للقفز عليه . . وبسرعة التفّ حول الحمار وهو يرتعد فزعاً ويصيح . .

–لا تستطيع أن تقدم على ذلك

. . . لا تستطيع

– لماذا ؟ . .

لأنني أنقذت حياتك منذ لحظات ثم بدأ يقفز كل منهما حول الحمار الذي ارتبك نتيجة لهذه الأعمال . . ثم بدأ الموتزي يخاطب الذئب من خلف الحمار بقوله : كن عاقلا . . فلا فائدة من هذا النقاش فلن تستطيع أن تصل إلى شيء بالقوة ولن أقتنع بأنك على حق ولو مزقتني وسيعذبك ضميرك على الدوام أليس كذلك ؟ إنني متأكد من أنك لن تقدم على أكلي حتى تتأكد من أنك على حق . .

– طبعاً ولكني جائع الآن وقد تعبت من كثرة النقاش

– دعنا ننه هذا النقاش بحكمة وأنا أقترح من جانبي أن تخضع لرأي حكم يحكم بيننا وحسب العادة فسنسأل ثلاثة من الشيوخ ليقرروا ما إذا كان لك حق في أكلي أم لا مع ملاحظة أنني أنقذت حياتك .

– وهو كذلك ولا تكن لجوجاً فأنا مقتنع أن الله إنما خلق الإنسان لتأكله الذئاب فنحن أرقى منكم درجة ولا تستطيع أن تدافع عن نفسك فأنت أضعف من ذلك وهكذا سارا في الطريق دون أن يقابلا أي إنسان لأن النهار قد ودع الأرض وسحبت الشمس نفسها إلى البحار وبدأ الذئب يعوي مشيراً إلى جذع شجرة ملقى على قارعة الطريق قائلا : إنني أحس بجوع شديد ولا أستطيع الصبر أكثر من هذا فسأسأل الرجل الذي أمامك

– ولكنه جماد إنه شجرة لا غير فماذا يعرف من أمري ومن أمرك

– اسأله وسيجيبك وبدأ الموتزي ينحني أمام الشجرة العجوز ويقص عليها قصته وكيف أنه أنقذ حياة الذئب وضحى بنفسه قائلا هل من العدل في رأيك وهل من عرفان الجميل أن يلتهمني بعد أن أنقذته من براثن الموت وبدأت الشجرة تخرج صوتاً أشبه بخوار الثور قائلة : يا سيدي

لقد فهمت ما تقصد وأنت تتحدث عن عرفان الجميل ولا بد أن تعرف رأيي في الموضوع فأنا كما ترى شجرة مشمش وعندما غرسني الزارع كنت بذرة صغيرة ، وخلال عام بدأت أزهر وبعد ثلاث سنين أخرجت للناس عصارة نفسي وبعد خمس سنين أصبحت ساقي أشبه بذراع قوية وبعد عشر سنين أصبحت أكثر ضخامة من ذلك وأنا الآن في العشرين من عمري لقد قضيت حياتي هذه كلها أطعم سيدي وأسرته بل كان كثيراً ما يبيع من ثماري ويستغل المبلغ لشؤونه الخاصة والآن إن سيدي يرى أنني أصبحت عقيماً لا أدر عليه شيئاً من الربح فمزق أوصالي وقطع عروقي وقدمها لقمة سائغة للنار ولم يكتف بهذا فلقد سمعته يهم ببيع ما تبقى مني . . لأحول إلى نوافذ وأبواب وبعد . . إن هذه هي الحياة ، فلماذا لا يلتهمك الذئب . . فانبسطت أسارير الذئب آنذاك وهو يقول هذه روح عاقلة تتحدث وهم بالرجل :

– انتظر . . انتظر فلا بد أن نسمع رأيين آخرين

– كما ترى ولكن من الواجب علي ان أقول لك ان رائحتك أصبحت ذكية بالنسبة لي . . ومرت فترة طويلة قبل أن يرى جاموسة عجوزاً واقفة بجانب حظيرة من حظائر الماشية . . وعلى وجهها علامات الاجهاد وسأم الحياة وبدأ الذئب يقول : سل هذا الرفيق فأنا لا أشك أن له خبرة طويلة في الحياة . . وبدأ الموتزي من جديد يروي قصته . . فتطلعت الجاموسة إليه ببرود . . فغرق هو في تفكير ساخر بها . . وظلت هي تتأمله دقائق ثم أجابت : ما أصدق ما قالته لك تلك الشجرة العجوز : أنظر إلي . . أما تراني قد أخنى علي الدهر . . فضعف سيري . . وأصبحت أسعى

نحو الموت . . وليتك رأيتني عندما كنت شابة . . فلقد اشتراني أحد الفلاحين وقادني إلى حظيرته وكانت بقية الأبقار قد طعنت في السن فكنت أقوم بكل أعماله . . فعندما كان يذهب إلى رحلة ما . . كان يثقل ظهري بمتاعه . . وعندما كان يريد حرث أرض موات كنت أنا الذي أصيرها له جنة وارفة الظلال فكنت أخوض الوحل وأدور حول المعصرة ولاأكاد أخلو من أي عمل أعمله له . . وكان نتيجة لجدي هذا أن أيسر الرجل . . ورقت حياته فبدأ يأكل كما يشاء ويلبس ما يريد . . كل ذلك من عرقي . . ثم اتسعت مخازن غلاله . . وزوج ابنه وبدأ يعيش كأي مترف . . ومن حوله أبناؤه . . وأبناء أبنائه وليتك رأيته عندما قدمت إليه وهو يتحدث عن المائدة وأثاثها . . والملاعق الخشبية . . والقصاع المتواضعة . . وأما الآن فهذه أواني النبيذ امتلأت بها مخازنه . فماذا عملت أنت للذئب بالنسبة لما عملته أنا للفلاح . . وأكثر من هذا أن زوجته تعتقد أنني عديمة المنفعة فتركتني في الهواء . . أتعرض للبرد وأنت تراني واقفة هاهنا واقفة أحاول أن أجد شيئاً من دفء الشمس وحرارتها . . وعندما يجنني المساء سأعود وحيدة كئيبة ومع هذا لا أفكر كثيراً في هذا الأمر فكل شيء سيهرم على الزمان . .

ولكن زوجته مصممة على إرسالي للجزار قائلة : إن لحمها يمكن الاحتفاظ به وقرونها وحوافرها سيستفاد منها في المنزل وهكذا . . هي الحياة فلا تتحدث عن عرفان الجميل . . فأنا لا أرى أي سبب يبرر عدم التهام الذئب لك . . ومرة أخرى حاول الذئب أن يفترس الرجل . . ولكن هذا قال له : ليس الآن . . لقد صبرت كثيراً . . فدعنا نسأل شيخاً آخر حسب ما اتفقنا عليه . . وفجأة رأيا شيخاً عجوزاً يتوكأ على عصاه متوجهاً نحوهما . . وقد طالت لحيته وابيضت وقد بدأ وكأنه

قسيس فعلت وجه تانفو ابتسامة لطيفة وجرى نحوه متوسلا إليه . . أن يحل النزاع بينه وبين الذئب . . «إن كلمة منك ستنقذ حياتي أيها العم العزيز » وسمع الشيخ القصة وهو ينظر إلى الذئب بغضب . . قائلا : أي نكران للجميل هذا . أتعلم أن ناكر الجميل سيكافأ في شيخوخته بابن عاق فستبتلي في آخر الأيام بابن سيكون متوحشاً وغير عطوف عليك ومع هذا تستطيع أن تعمل به ما تشاء . . أغرب عن وجهي وإلا قتلتك وبدأ الذئب يتوسل إليه قائلا إنك لم تسمع قصتي بعد . . فالموتزي هذا قد قيدني وأدخلني في حقيبته هذه حتى لم أستطع التنفس وقد كنت أظنني هالكاً . . ولا أعتقد أنك تتصور كم كنت متألماً بداخلها فأجابه القسيس بقوله : في هذه الحال سيلام الموتزي أيضاً . . واحتدم النقاش مرة أخرى . . وبدأ القسيس . .

ـ لا أعلم بالضبط أيكما الصادق وأيكما الكذاب فأنت تزعم أنك قد أنقذت حياة الذئب . . وهو يزعم أنك آذيته . . والطريقة الوحيدة لمعرفة الحق . . أن تمثلا أمامي ما حدث بينكما . . وسأرى كم كنت غير مستريح في هذه الحقيبة فأجابه الذئب وهو يدخل نفسه فيها سترى بعينك وهنا همس القسيس

ـ أتملك سكيناً حادة . . فأجابه تانفو متحيراً . . نعم

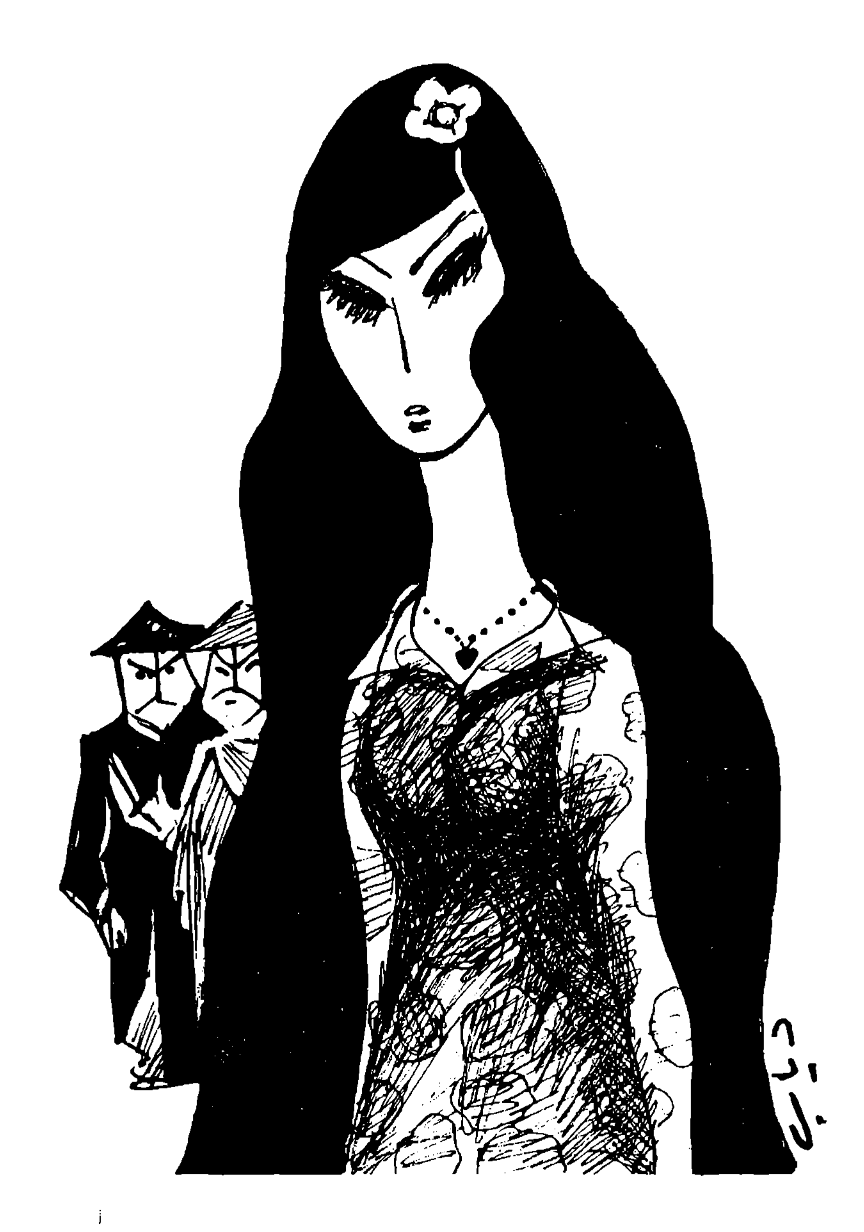
ـ حسناً

ـ لا أظنك تأمرني بقتل الذئب

ـ لك ما تشاء إما أن تقتله . وإما أن يقتلك . . يا لك من مثالي غير عملي . . ولم يكد ينتهي من كلامه هذا حتى حمل على الذئب . مساعداً الموتزي بسكينه وما هي إلا لحظات حتى كانا قد وضعا حداً عملياً لهذه المناقشة .

فندق الزفاف

للكاتب الصيني لي فوني



فندق الزفاف

للكاتب الصيني لي فوني

أخذ « وي كو » في البحث عن فتاة ملائمة له ليتخذها زوجة .. ولكنه ولأمد بعيد فشل في الحصول على ضالته . . لأن الأيام كانت تدخره لفتاة بعينها . . وفي سنة ٨٠٧ كان في طريقه إلى (تسنجو) فنزل في أحد الفنادق خارج البوابة الجنوبية لمدينة – سنجشنج – وهناك اقترح عليه أن يتزوج بفتاة من أسرة (بان) التي كانت مساوية لأسرته من الناحية الاجتماعية . . فاتفق مع الخاطب على أن يلتقيا في معبد (لنجشنج) في صباح اليوم الثاني . . وسيطرت على ذهنه طيلة تلك الليلة فكرة الزواج من هذه الفتاة الثرية ذات الجمال المشهور فقضى ليلته مسهداً حتى دنا الصباح .. فقام من فوره وارتدى ملابسه وأعد نفسه لذلك اللقاء . . وكان القمر في تلك اللحظة يغمر السماء الباهتة لأن النهار لم يتنفس بعد . . وعندما وصل إلى المكان الذي كان يقصده رأى رجلا طاعناً في السن جالساً على عتبات المعبد وأمامه كتاب يقرأ فيه على ضوء القمر المتلاشي . . وبجانبه حقيبة صغيرة ملقاة على الأرض . . واستبدت بـ (وي) غريزة حب الاستطلاع لأمر هذا الشيخ الذي يقرأ في هذه الساعة المبكرة . . فمد عنقه بين كتفيه فوجده يقرأ في كتاب غير مفهوم . . وكان « وي » قد قرأ كل علوم القدماء والمخطوطات العتيقة حتى السنسكريتية منها ، ومع هذا فلم يستطع أن يميز حرفاً واحداً من الذي أمامه . . فالتفت إلى الشيخ وقال له :

أأستطيع أن أسألك يا سيدي أي نوع من الكتب أنت تقرأ ؟ فلقد كنت أظنني أعرف كل ما كتب من الخطوط على ظهر هذه الأرض ، ولكنني لم أر هذا النوع من قبل ، أجابه الرجل العجوز بابتسامة منه . . نعم إنك

لم تر مثله ، فهو ليس مكتوباً بلغة يمكنك أن تقرأها .

ـ فماذا هي إذن يا سيدي ؟

ـ أنت إنسان بشري وهذا الكتاب من عالم الروح !!

ـ فأنت إذاً من ذلك العالم ، فماذا تعمل هنا إذن ؟!

ـ ولماذا لا أكون هنا ، فقد أتيت أنت مبكراً في هذه الساعة التي تفصل الليل عن النهار . . إن نصف المسافرين في دروب الحياة من الجنس البشري ، أما النصف الآخر فمن عالم الروح ، وبطبيعة الحال أنت لا تستطيع أن تميز بينهم ، وها أنا إذاً أسعى في شؤون البشرية ، أبحث عن الأشخاص والعناوين التي تهمني أمورها .

ـ فسأله (وي) أي شؤون تعني . . ؟

ـ الزفاف !

فبدت على ملامح (وي) امارات الاهتمام وقال له : أنت إذا الإنسان ـ معذرة ـ أقصد الشخص الذي أريد أن أستشيره فلقد فشلت في الحصول على فتاة من أسرة محترمة لأتخذها زوجة لي ، وفي الحقيقة إنني لم آت إلى هذا المكان إلا على وعد بشأن خطبة فتاة من أسرة (بان) قيل لي عنها انها جميلة مهذبة ، ذات شخصية ممتازة ، وأرجوك أن تخبرني هل سأنجح في مسعاي هذا ؟ فسأله الرجل العجوز عن اسمه فأجابه بقوله (وي كو) . . وبعد أن أخذ يقلب صفحات السفر الذي بين يديه رفع رأسه إليه وقال . . أخشى أن يكون العكس ، فأنت تعلم أن شؤون الزواج تنظم كلها في السماء . . وقد كتبت في هذا الكتاب ، ومن خلال سطوره أرى زوجتك الآن لم تتجاوز الثالثة من عمرها ، وعندما تبلغ السابعة عشرة ستزف إليك فلا تقلق لذلك !

ـ لا أقلق !! إن معنى كلامك أن أنتظر أربعة عشر عاماً أخرى !!

– هذه هي الحقيقة

– وعلى هذا فلن أتمكن من زواج هذه الفتاة التي من أسرة (بان)

– نعم !!

واحتار وي في أمره ولم يعرف ما إذا كان يعتقد في ما قاله له أم لا يعتقد ولكنه سأله ماذا تحمل في حقيبتك هذه إذن !؟

– خيوطاً حريرية حمراء . . وغمرت وجه الشيخ ابتسامة لطيفة

– واستطرد قائلا : أنت ترى أن هذه مهمتي . . فأنا أضع علامة أمام كل اثنين كتب عليهما أن يتزوجا ، وعندما تولد الفتاة أو الفتى . . أسارع إليهما في جوف الليل وأربط أقدامهما معاً ربطاً محكماً فلا تستطيع الأيام أن تفرق بينهما . . وأحياناً ينشأ أحد الزوجين فقيراً والآخر غنياً ، وربما كان أحدهما يبعد عن الآخر بآلاف الأميال ، بل ربما كان هناك عداء مستحكم بين أسرتيهما ومع هذا فهما يتزوجان في آخر الأمر .

– وقد ربطت قدمي على ما أظن

– نعم لقد فعلت

– وأين تعيش هذه التي لم تتجاوز الثالثة من عمرها والتي قدر لي أن تكون زوجتي ؟

– إنها تعيش مع امرأة تبيع الخضروات في السوق ، وهما ليستا ببعيدتين عنا ، وقد اعتادت هذه المرأة أن ترتاد السوق في كل صباح وإذا كنت مهتماً بالأمر فاتبعني إلى السوق وسأريكها . وفي تلك الأثناء كان الصباح قد أسفر ، ولكن الرجل الذي واعده للحضور لم يصل بعد فعلق الرجل العجوز على ذلك بقوله أنت ترى أن لا فائدة من الانتظار

أكثر من هذا ، وخاض الاثنان في حديث طويل ووجد (وي) في أثنائه أن الشيخ عذب الحديث لين الطباع فاسترسل معه وأخبره الشيخ بأنه يحب عمله حباً جماً واردف قوله :

يا له من خيط غريب . . إنني أشاهد الفتاة أو الفتى ينمران كل في بيته الخاصة وفي أحيان كثيرة لا يشعر أحدهما بوجود الآخر ، حتى إذا حان الوقت التقيا ووقع كل منهما في حب صاحبه وعندما يتدخل بينهما أي فتى أو فتاة ، يتعثر في الخيط الذي يربط بينهما حتى إذا ما أحاطه الخيط من كل جانب ، تخلص من حياته بطريقة أو أخرى ، وقد شاهدت هذه الظاهرة مرات ومرات .

وقد كانت السوق التي لم تبعد عن مكانهما كثيراً في تلك اللحظة ، غاصة بالناس ، فأشار الشيخ برأسه لوى وهو ينهض ، وبيده حقيبته قائلا : — هيا بنا يا رفيقي ، وعندما انتهي إلى السوق أشار بيده إلى امرأة عجوز دميمة الشكل ، تدلي شعرها على وجهها ، وهي جالسة تبيع الخضروات وبيدها طفلة تضمها إلى صدرها..وكانت على عينيها قطعة من اللحم فهي لا تكاد ترى إلا بشق الأنفس أشار الشيخ إليها وقال هذه هي الطفلة التي بين يديك .ستكون زوجتك فصاح (وي) بصوت مسموع وهو يقول ماذا تقصد ؟ إنك تسخر مني دون شك..ثم التفت إلى العجوز وهو يكاد يتمزق من الغيظ . . فأجابه الشيخ بقوله . . لا . . إنني أؤكد لك أن هذه الطفلة . . ولدت تحت أنجم سعيدة . . وستعيشان معاً حياة هادئة . . وستصبح هي في نهاية الأمر امرأة ذات مركز اجتماعي عال بسبب أنها . . فنظر (وي) إلى هذه الشريدة نحيلة الجسم بخيبة أمل وحاول أن يناقش الشيخ في كلماته تلك ولكنه حين أدار وجهه إليه وجده قد اختفى . . وعاد إلى بيته

وحيداً كئيباً والخيبة تملأ عليه حياته . . لأن الرجل الذي وعده لم يأت إلى لقائه ولأنه لم يستطع أن يحدد موقفه من ذلك الشيخ ، وهل يعتقد في ما قاله أم لا . . وظلت الأفكار تلح عليه . . إنني إنسان مثقف . . وحتى لو فشلت في الحصول على فتاة من عائلة محترمة فلا أقل من أن أحصل على سيدة جميلة من الوسط المسرحي . . وكلما فكر في أمره وجد أن فكرة الزواج بتلك الطفلة القذرة فكرة لا يمكن احتمالها . . وهكذا استمر في تلك الدوامة ولم يستطع أن ينام في ليلته تلك . . وفي صباح اليوم الثاني عاد إلى السوق ومعه خادمه بعد أن وعده بجائزة ضخمة إذا هو قتل تلك الطفلة ولم تكد تسنح له الفرصة حتى استل سكينته وأغمدها في الفتاة وأطلق ساقيه للريح . . فبكت الطفلة وصاحت العجوز القاتل القاتل وملأ السوق هياج كبير كان وي وخادمه في أثنائه قد لاذا بالفرار وهناك سأله وي . . هل أصبت منها مقتلا فأجابه خادمه بقوله كلا . . فعندما وجهت إليها سكينتي تحركت بسرعة وأظنني أصبتها قريباً من حاجبها . . وترك (وي) المدينة على عجل وسرعان ما نسي الناس تلك الحادثة وأخذ طريقه غرباً إلى العاصمة ولا تزال مرارة خيبة أمله في حلقه . . ولكنه استطاع أخيراً أن يصرف ذهنه عن الزواج وبعد ثلاث سنين نجح في خطبة فتاة من أسرة «بان» المشهورة وكانت الفتاة مثقفة ثقافة ممتازة جميلة جمالا رائعاً . . وتدفق عليه سيل من التهاني لهذه الخطبة الموفقة ، وتمت كل التجهيزات الخاصة بالزواج عندما سمع في صباح أحد الأيام الخبر المشؤوم بأن فتاته انتحرت لأنها كانت تحب رجلا آخر . . ومضى عامان آخران . . أقلع (وي) خلالهما عن التفكير في الزواج وعندما بلغ الثامنة والعشرين من

عمره . . صمم نهائياً على عدم الزواج من فتيات المجتمع . . وفي أحد الأيام كان يقف بجانب أحد المعابد في الريف وهناك رأى ابنة أحد الفلاحين فهام بها حباً . . ولم يمض وقت على ذلك حتى بادلته الفتاة حباً بحب وانتهى أمرهما بأن خطبها وعاد إلى المدينة ليشتري لها بعض المجوهرات والأثواب الحريرية - ولم يكد يعود حتى علم أن فتاته أصيبت بداء عضال فصمم على الانتظار حتى تشفى ولكنها لم تبل من دائها بل إنها فقدت شعرها بعد عام . . ثم أصيبت بالعمى ورفضت طبعاً أن تتزوجه ورجته أن يتركها ليبحث عن فتاة أخرى جديرة به وبحبه . . ومرت سنون أخرى قبل أن يفكر في الزواج من فتاة لم تكن جميلة وشابة فحسب بل كانت مثقفة تعشق الكتب والفن والموسيقى ولم يكن له منافسون في خطبته تلك فتمت بسلام . . ولكن قبل ثلاثة أيام من موعد زفافهما وبينما كانت تمر على الرصيف إذ تعلقت بحجر ضخم فوقعت على الأرض فاقدة النطق . . وبدا له في تلك اللحظة أن القدر يسخر به . . وهكذا أصبح (وي) رجلا مشؤوماً . .

وكان في تلك الأثناء يعمل في مكتب بريد في شيانج شو . . مخلصاً في عمله صارفاً ذهنه عن التفكير في الزواج . . ولكن إخلاصه في عمله كان سبباً في أن القاضي (والج تي) عرض عليه أن يزوجه ابنة أخيه . وكان هذا العرض مؤلماً له أشد الإيلام . . فرد عليه . . لماذا تريد أن تزوجني ابنة أخيك فأنا قد تخطيت مرحلة شبابي . . ولكنه إزاء إصراره وافق نهائياً مع أنه لم يكن متحمساً لذلك العرض . . ولم ير عروسه إلا بعد **أن** تمت مراسيم الزواج . . ولكنه وجدها جميلة وشابة فهدأت نفسه لذلك وقد لاحظ عليها وي أنها كانت تصفف شعرها بطريقة خاصة . إذ كانت دائماً تحاول أن تخفي الجانب الأيمن من جبهتها . . وقد كان منظرها في

تلك التسريحة جميلا حقاً ولكن وي كان يستغرب لذلك . . ومرت عليهما بضعة شهور أحبها فيها حباً عميقاً وسألها ذات يوم . . لماذا لا تغيرين طريقة تصفيف شعرك ولو مرة واحدة . . أعني لماذا تدعينه دائماً يتدلى على جانب واحد . . فرفعت إذ ذاك شعرها وقالت له . . أترى ؟ . وأشارت بيدها إلى آثار جرح عميق في جبهتها فسألها (وي) من أي شيء هذا الجرح ؟ فأجابته بقولها عندما كنت طفلة في الثالثة من عمري توفي والدي وهو في مكتبه وتوفيت والدتي وأخي في نفس العام فكفلتني مربيتي العجوز . . وكانت لنا دار قريبة من البوابة الجنوبية في سنجشنج . . حيث كان مكتب والدي . . وكانت مربيتي هذه تغرس بعض الخضروات وتبيعها في السوق . . وفي يوم من الأيام حاول أحد اللصوص قتلي لسبب لا نعرفه لأننا لم يكن لنا أعداء ، ولكنه لم يفلح في ذلك وترك هذا الأثر في جبهتي وهذا السبب الذي جعلني أخفي الجانب الأيمن منها

– وهل كانت مربيتك تلك عمياء ؟

– نعم وكيف عرفت ذلك ؟

– لقد كنت أنا ذلك اللص . . يا له من أمر غريب إن كل شيء يسير وفقاً للقضاء والقدر ثم أخبرها بقصة لقائه مع ذلك الشيخ العجوز منذ أربعة عشر عاماً .

وأخبرته هي بدورها أنها وهي في السادسة أو السابعة من عمرها وجدها خالها في سنجشنج وأخذها لتعيش مع أسرته في شيانج شو حيث وجدها . . عند ذلك عرف وي أن زواجهما قد قدر في السماء . . فأحب كل منهما الآخر . . وبعد مدة من الزمن رزقا ابناً سمياه (كن) أصبح

قاضياً على تايوان . . فمنحت والدته أحد الألقاب بسبب ابنها . . وعندما علم قاضي سنجشنج بما حدث في مدينته دعا ذلك الفندق والذي نزل فيه . . وي كو . . بفندق الزفاف ؟

* * *

الزقاق المظلم

حمزه بوقري



الزقاق المظلم

حمزه بوقري

في ليلة من ليالي الشتاء وفي الممر الموصل بين الغرفتين الوحيدتين في المنزل جلس حسن وفي يده كتاب يضمه إلى صدره وكأنه يخشى أن يهرب منه . . جلس وبجانبه مصباح أقعدته شقيقته على كرسي من الخشب حتى يمتد نوره إلى الغرفتين معاً وفتح صفحة من الكتاب الذي أمامه ونظر إليها نظرة سريعة ثم تركها وأخذ ينظر إلى السلم المواجه له والموصل إلى سطح البيت . . والذي تركه منذ نصف ساعة بعد أن أجنه الليل لأنه لم يستطع أخذ المصباح الوحيد الذي ببيتهم ويترك شقيقته في ذلك الظلام المخيف . . لهذا نزل واتخذ مجلسه من الغرفتين قريباً من المصباح وأخذت شقيقته تنتقل من إحدى الغرفتين إلى الأخرى وفي يدها المكنسة تحاول أن تزيل بها ما تركه ذلك اليوم الطويل من الغبار على البساط الملقى على الأرض وفجأة ارتد نظره إلى الكتاب وأخذ يقرأ فيه حتى انهمك في القراءة ولم يعد يحس بما حوله من الغبار الذي كانت تثيره شقيقته ويصل إلى منخريه بانتظام وبالرغم من أن المصباح نفسهقد أخذ يربد وجهه بما انعقد حوله من غبار إلا أنه ظل مستمراً في قراءته وكانت أسارير وجهه تنقبض تارة وتنبسط أخرى تبعاً لعواطف الكاتب الذي يقرأ له وكان بين الفينة والفينة يكور يده في قبضة وكأنه يحاول أن يحطم بها شيئاً ثم يتركها ترتاح إلى جانبه على حجارة الممر وظل على حاله هذه حتى الساعة الرابعة مساء . حين استيقظت شقيقته من نومها في الغرفة اليمنى . لقد كانت فتاة صغيرة لم تتجاوز العاشرة من عمرها اتعبتها حركة اليوم فارتمت بجانبه . . ولما استيقظت من نومها أخذت تشهق وتعنف أخاها لأنه لم يخرج كعادته إلى محل والده ليساعده في تقديم أطباق الفول للزبائن . . لقد اعتاد أن

يذهب إليه مع الصباح الباكر ويظل هناك حتّى الساعة الثانية حيث يتوجه إلى مدرسته وأما في المساء فكان يذهب مع المغرب ليعود في الساعة الرابعة. وطبيعي أن تستغرب شقيقته من مقامه بجانبها حتّى تلك الساعة لأنها تعرف مقدماً ما سيناله . . ولكنه يرد عليها أن القراءة بالنسبة لي أحسن من العشاء.. فلم تفهم بالطبع ما يقصده من كلامه هذا فاكتفت بأن هزت رأسها وأغمضت عينيها مرة أخرى وهي تقول له : أنت حر . . ولم يكن الكتاب الذي بيده غير عدد من سلسلة اقرأ كان قد وصل من مصر في ذلك اليوم إلى مكتبة المدرسة فأسرع هو إلى المشرف على المكتبة وكان طالباً في السنة التوجيهية ورجاه أن يعيره الكتاب قبل أن يسبقه إليه غيره وكان نظام المدرسة يحتم على الطالب أن يعيد المجلات الشهرية بعد يوم واحد من أخذها فعز على حسن أن يأخذ الكتاب ثم يرده من غير أن يقرأه كله ولهذا كانت تتكرر حادثة انقطاعه عن الذهاب إلى محل والده عدة مرات في الشهر بعدد المجلات التي كانت تصل إلى المدرسة ولقد كان عدد هذا الشهر عن سقراط فاستهوته حياة هذا الفيلسوف العظيم حتى لم يعد يفكر في هذه الدنيا المحيطة به ولم يعد يفكر في نفسه ولا في أبيه الذي ينتظره هناك ولا في شقيقته الملقاة بجانبه . . ولا في عشاء تلك الليلة الذي سيحرم منه لقد نسي كل شيء وكأن هذه الأمور لا تهمه هو في قليل أو كثير وظل على حاله تلك وقتاً آخر لا يرفع رأسه عن الكتاب إلا حينما يعلو شخير شقيقته وإلا عندما ترفع هي رأسها لتسأله بصوتها الضعيف الواهن الذي زاده النوم وهنا هل ذهبت إلى والدي ؟ ومرت الدقائق حتّى قاربت الساعة الخامسة فطوى الكتاب الذي بين يديه ثم عاد وتصفحه تصفحاً سريعاً وكأنه يخشى

أن ينسى كلمة واحدة مما قرأه لقد كان ذلك الوقت هو موعد عودة والده وهو يعلم ماذا سيحدث له لو وجده في البيت . . فلم يكن بد إذا من أن يغادر الدار وعلى الأقل حتى يعود والده وينام . . وفتح الباب وهو يخشى من صريره وكأنه لص يتسلل فاستقبله هواء بارد رده بعض الشيء إلى الخلف ثم لم يلبث أن استمر في سيره دون أن يستطيع أن يركز ذهنه في شيء بعينه غير أن صوراً مشوشة ظلت تمر أمام عينه . . والده وهو قابع في محله وبيده إناء حائل اللون يقدمه لأحد زبائنه ثم صورة شقيقته النائمة والمصباح الخافت . . والبساط الملقى على الأرض والسلم الموصل إلى السطح . . والمدرسة وسقراطه وزوجته « زوجة سقراط » التي كانت تضربه والسم الذي تجرعه في سبيل هدفه . وقليلا قليلا أخذ يتحرك في نفسه شيء كان يخشاه ويتحاشى التفكير فيه لقد بدأ يحس بالجوع تحت تأثير ذلك الهواء البارد وأخذ يمشي على غير هدى وحيثما اتفق إلى أن وصل إلى حي تعمره كثير من القصور العالية وهو غارق في الأنوار وكأنه في ليلة زفاف . وتقدم فيه خطوات وإذا برائحة تصله من ناحية يده اليسرى فلم تلبث قدماه أن وقفتا وكأنهما وصلتا إلى ما تريدان . . وعرج هو على ذلك الشارع الضيق الذي انبعثت منه تلك الرائحة فرأى بواسطة الضوء الواصل إلى ذلك الشارع من العمارة الكبيرة الواقعة بجانبه . . رأى منظراً لم يتعود رؤيته قبل الآن في بيته أو في بيت أحد من زملائه بله في شارع ضيق كهذا . . يا له من عشاء لذيذ ولم يفكر فيما رأى ولم يحاول أن يسأل نفسه عن مصدره ولكنه جلس إلى جواره وأخذ يملأ بطنه الخالية . . وتحرك في الظلام شبح قريب منه فارتعد أول الأمر ولكنه عاد وهدأت نفسه وأحس بتلك العاطفة

التي تربط بين البؤساء والمعدمين ولكن مع هذا لم يفكر في أن يخاطبه وأخيراً لعق يده وانتصب واقفاً وتقدم خطوات فلمعت أمام عينيه الأضواء التي تغمر القصر الكبير فرفع إليها وجهه وتمتم بدعاء حار لصاحبه الذي تكرم فالقى بهذه الكمية من الطعام . . في الشارع لتكون عشاء له ولرفيقه البائس ؟!

الفهرس



المترجم

- وُلِدَ بمكّة المكرمة، وتلقى تعليمه الابتدائي والثانوي بها.

- ابتُعِثَ إلى جامعة الملك فؤاد - القاهرة حالياً والتحق بكلية الآداب حيث تخرج فيها..

- عمل مديراً لإدارة التنسيق بمديرية الإذاعة، ثمّ مديراً لإدارة الأحاديث والثقافة العامة، فمديراً عاماً للمطبوعات عندما تحولت مديرية الإذاعة إلى مديرية عامة للإذاعة والصحافة والنشر..

- عُيِّنَ وكيلاً لوزارة الإعلام، حيثُ شغل هذا المنصب لبضع سنوات ثُمَّ انتهت عِلاقته بالوظيفة سنة ١٣٨٧هـ

- أصدر كتاباً بعنوان « محمود تيمور والقصة القصيرة (سلسلة الدراسات) عام ١٤٠٠ »

- أشرف على مجلة الإذاعة التي كانت تصدر في الثمانينات وساهم في الكتابة فيها. كما ساهم بالكتابة في الصحف المحلية.

- يُديرُ الآن أعمالَهُ التجارية الخاصة حيثُ يرأسُ مجالس إدارة بعض الشركات ويُشارك في عضوية مجالس إدارات البعض الآخر.

دار الأصفهاني للطباعة بجدة